# الوجـــع الهـــادئ

" حكاية الضليعة المُتعبة "

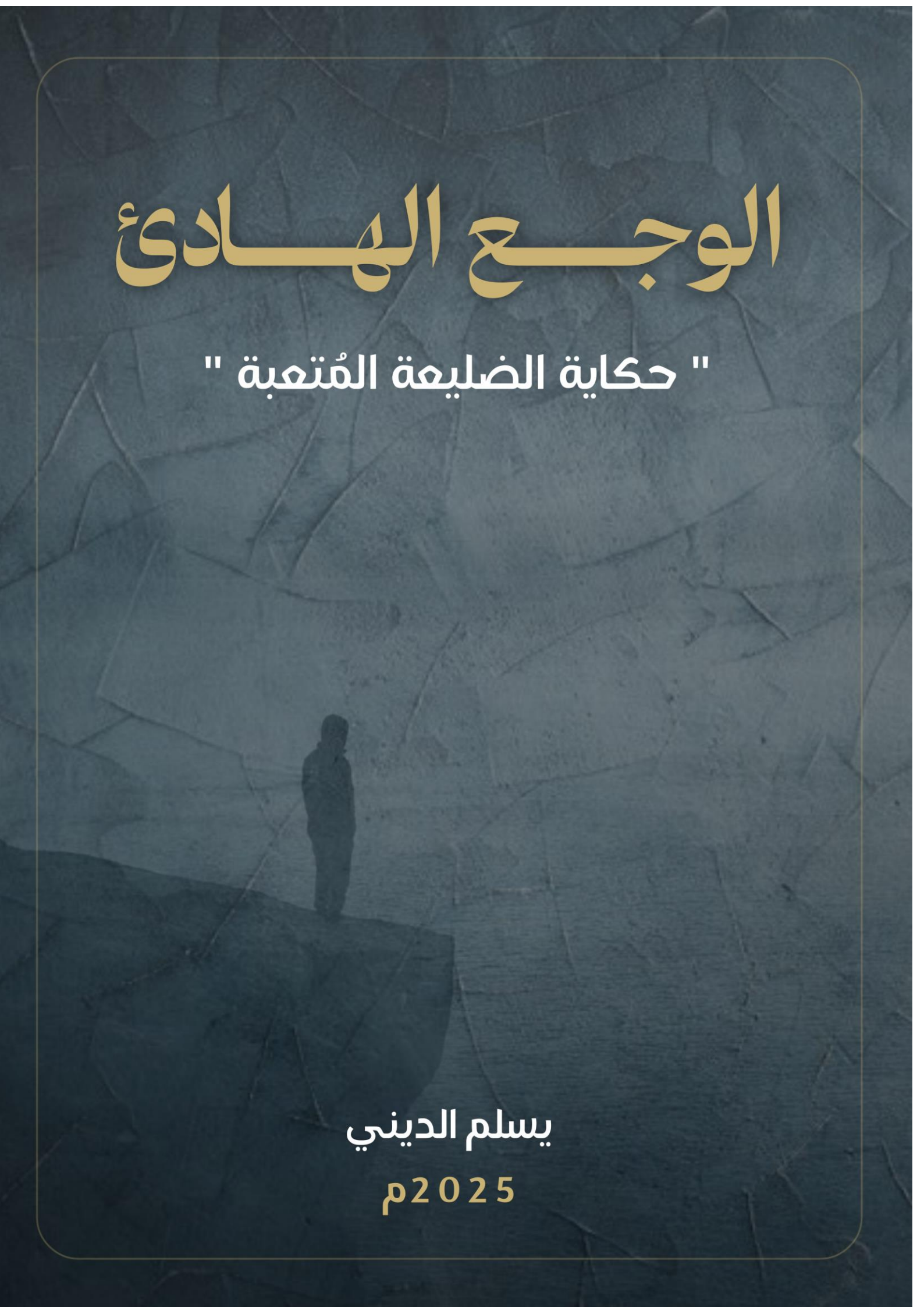

يسلم الديني

2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/حضرموت
٢٠٢٥/٢٩٦م

# عنوان الكتاب: الوجع الهادئ
# " حكاية الضليعة المُتعبة "

المؤلف: يسلم عمر الديني

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م

تصميم الغلاف:

# إهداء

إلى كل قلبٍ نزف بصمتٍ في زوايا مديريتي...

إلى تلك الوجوه التي تعوّدت الألم حتى صار جزءًا من ملامحها،

إلى الأم التي تُسعف ابنها سيرًا على الأقدام،

إلى الطفل الذي يحلم بمدرسة لا تسقط جدرانها عليه،

إلى الشيخ الذي يمدّ يده للدواء فلا يجده،

إلى كل ساكنٍ هنا لم يطلب رفاهية...

بل حياةً عادلة.

أُهدي هذا الكتاب إليكم،

لعلّ كلماته تصرخ حين صمتَ الجميع،

ولعلها تكون بذرةَ وعيٍ تغيّر شيئًا...

ذات يوم.

الوجع الهادئ ـــــــ

# المقدمة

ليست هذه الكلمات بيانًا سياسيًا، ولا عريضة احتجاجية، ولا دعوة إلى فتنة.

هي فقط وجعٌ قديم، نضج بصمت، وكبر

على قارعة الإهمال...

وجعٌ لم يأتِ من حربٍ أو دمارٍ شامل، بل

من شيءٍ أقسى: التجاهل.

نحن أبناء هذه المديرية، لسنا غرباء عنها، ولا نحن

طارئون على ترابها.

كبرنا في طرقاتها المتكسرة، ودرسنا في مدارسها

المتهالكة،

وعرفنا المستوصفات فيها كأنها بيوت

أشباح لا تصلح لنجاة مريض،

شهدنا طوابير الناس عند المحطات وعند أبواب الإدارات،

ليس طمعًا في منصب، بل طلبًا لحقٍ بسيط... لم يُلبَّ.

هنا، في هذه البقعة التي يفترض

أن تكون بيتنا الآمن،

تنهار الخدمات واحدًا تلو الآخر،

وتغيب المسؤولية كما لو أنها لا تعرف الطريق إلينا

مدير المديرية... مدير الصحة... مدير التربية.

ثلاثة أسماء تتكرر على ألسنة الناس،

لكنها لا تأتي بحل، بل تأتي ومعها مزيد من التدهور.

هذا الكتاب ليس حكاية عابرة،

بل مرآة للواقع، تفضح ما تعوّد عليه الناس

حتى كادوا يظنونه قدرًا.

هو محاولة لتوثيق المعاناة، لا لتأجيجها،

لنسرد الحقيقة كما هي، دون رتوش، ودون صراخ.

لعلّ كلماتي، حين تقرأها عينٌ صادقة،

تُصبح خطوة صغيرة نحو التغيير،

أو على الأقل، تذكيرًا بأن الصمت لم يكن يومًا خيارًا عادلًا.

**يسلم الديني**

**١٤٤٧/٢/٥هـ**

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# الإدارة الغائبة

في الضليعة، لا تُسمع أصوات القذائف، ولا تُرى آثار الحروب...

لكن الجراح أعمق.

هنا، الموت لا يأتي برصاصة، بل بإبرة مكسورة...

أو بعدم وجودها أصلًا.

الناس لا يموتون لأنهم مجرمون، بل لأن السلطة غائبة.

مديرية الضليعة، التي تحتضن آلافًا من السكان،

لا تزال تُعامل كأنها هامش لا يستحق الحياة.

لا مستشفى فيها، ولا مركز طوارئ، ولا عناية طبية لائقة،

فقط مستوصفات صحية متفرقة، بعضها يفتقر حتى لأبسط الأدوات.

تدخلها فلا تجد الكهرباء أحيانًا،

تخرج منها بإحساس عميق أن هذه الأرض منسية عمدًا، لا سهوًا.

حين يمرض أحد سكان الضليعة، يُقال له: اصبر.

وإن اشتد عليه الألم، قيل له: اذهب إلى مدينة أخرى،

كأن التنقل في طرق متهالكة، وبين مسافات طويلة،

هو جزء من وصفة العلاج.

الأمهات الحوامل يُنقلن في لحظات الخطر إلى مديريات بعيدة،

بلا إسعاف، بلا تجهيز، بلا مرافقة طبية،

يمرّ الوقت، وربما تُزهق أرواحٌ كانت تستحق أن تُنقذ...

لو كانت في منطقة أخرى، أو لو كانت تحت رعاية مسؤول يخاف الله.

لكن هنا، لا شيء يتحرك،

والسلطة المحلية تغطّ في نومها،

مدير المديرية لا نراه في الميدان،

مدير الصحة لا يُحاسب، ولا يُسائل،

كأن الأمور تسير من تلقاء نفسها،

أو كأن أرواح الناس لا تستحق حتى السؤال.

ليس غريبًا أن يتحوّل الحديث في المجالس إلى مراثٍ،

يتحدثون عن الغياب وكأنه قدر،

عن الإهمال وكأنه نصيب،

لا لأنهم مقتنعون بذلك، بل لأنهم تعبوا من المطالبة،

وتعبوا أكثر من الوعود التي لا تأتي أبدًا.

الأب الذي يحمل طفله المريض لا يحتاج إلى خطاب رسمي،

ولا إلى حبر على ورق،

هو فقط يريد أن يدخل مركزًا صحيًا يجد فيه طبيبًا،

يريد دواءً متاحًا، وسريرًا نظيفًا وقلب مسؤولاً،

لكن في الضليعة، المسؤولون اعتادوا الغياب،

ولا يُحرّكهم وجع الناس،

ولا يُوقظهم موتٌ يُنقل من بيت إلى بيت،

بل تجد بعضهم لا يظهر إلا في المناسبات،

ليلتقط صورًا بجانب مشاريع لم تُنجز،

أو ليتحدث عن تحسينات لا يراها أحد.

لقد تحوّل العمل الإداري إلى تكرارٍ ممل،

يبدأ بتوقيع، ويمرّ بختم، وينتهي بإهمال،

لا مراجعة، لا تقييم، لا تطوير،

وكأننا نعيش في حلقة مغلقة،

يتوارث فيها العبث مسؤولًا بعد آخر.

وما يُثير الألم أكثر،

أن هؤلاء الذين يُديرون هذه المديرية،

هم أبناء هذه الأرض...

يعرفون تفاصيلها، ويعرفون أسماء قراها،

لكنهم ما إن جلسوا على الكرسي،

حتى أصبحوا كمن لا يعرف شيئًا عن الناس ولا عن حاجاتهم.

هذا هو الحال في الضليعة.

مديرية كاملة، بلا مستشفى، بلا رعاية،

وكأن السلطة تقول لأهلها: عيشوا إن استطعتم،

وموتوا بصمت إن لم تقدروا.

لكننا لن نصمت.

لأن الكلمات إن لم تُكتب اليوم، فمن سيكتب الحقيقة غدًا؟

ولأن الصمت جبن،

ولأن وجع الناس لا يجب أن يُدفن مع صبرهم.

نكتب لأن كل بيت فقد مريضًا،

وكل أم دفنت ولدها،

وكل شيخٍ مات على قارعة طريق،

يستحق أن يُروى وجعه بصدق...

ليعلم الجميع أن في هذا الوطن مديرية تموت بالإبرة،

لا بالحرب،

وأن الخذلان حين يأتي من السلطة،

يكون أثقل من الجوع... وأقسى من المرض... وأشد من كل وجع.

نكتب... لأننا ما زلنا نحلم،

وما زالت أرواحنا معلقة بخيط أمل،

ألا يكون الغد كما كان الأمس،

وألا يبقى أبناء الضليعة ضحايا إدارة لا ترى...

وسلطة لا تهتم.

كأنها جُبلت على اللامبالاة، كأنها تعلّمت أن تتجاهل الصوت،

وتتجاوز الألم، وتمضي دون أن تلتفت لمن يسقط خلفها.

لا تُحركها شكاوى الناس، ولا تُوقظها استغاثاتهم،

فكلما طرق المواطن بابًا، عاد منه بخيبة جديدة،

وكلما رفع صوته، جوبه بصمت أثقل من الجدران.

في الضليعة، نكتب ليس لأننا نملك الترف، بل لأننا نكاد

نختنق من القهر.

نكتب لأن الواقع أقسى من أن يُحتمل دون أن يُقال،

ولأن الصبر وحده لا يُقيم مستشفى،

ولا يُنقذ حياة، ولا يُحاسب مقصرًا.

نكتب لأنّ الناس هنا لا يطلبون المستحيل،

بل يطلبون حقهم في الحياة... حقهم في العلاج...

حقهم في أن يُعاملوا كبشر لهم كرامة،

لا كأرقام تُذكر في تقارير باردة، تُرفع إلى مكاتب لا تقرأ.

نكتب لأن الصغار كبروا على مشهد الوجع،

ولأن الكبار ماتوا دون أن يجدوا سريرًا في مستشفى،

ولأننا لا نريد أن نعيش ما عاشه من قبلنا،

ولا نريد لأبنائنا أن يرثوا مديرية مهملة، وسلطة باردة، ووجعًا متوارثًا.

وإن كان صوتنا لا يُسمع اليوم،

فسيأتي يوم، تُقرأ فيه هذه الكلمات،

ويعلم فيه الجميع أن في أقصى الأرض...

كانت هناك مديرية اسمها الضليعة،

عانت بصمت، وصبرت كثيرًا،

لكنها يومًا ما... تكلمت.

لا نكتب من فراغ، ولا نختلق الحكايات من خيال.

بل نكتب من وجعٍ رأيناه في عيون الأمهات،

في تنهّدات الشيوخ، في نظرات أطفال لم يعرفوا معنى "المستشفى"،

بل عرفوا فقط معنى "انتظر"... و"ما فيش".

الضليعة ليست جُزءًا من ورق...

وليست سطرًا في تقارير ترفعها مكاتب عاجزة.

هي أرواح، وبيوت، وأحلام،

لكنها باتت تُعامل كما لو كانت خارج خارطة الاهتمام.

ما يؤلم حقًا، ليس فقط غياب المستشفى،

بل غياب الإحساس،

فأشدّ ما يُميت الإنسان... أن يشعر بأنه غير مرئي،

أن كل نداءاته لا تصل،

وأن كل آلامه لا تُحتسب.

هنا في الضليعة، لا نطلب ترفًا، ولا نُلاحق امتيازات،

نريد فقط حقًّا بسيطًا...

أن نحيا بكرامة

أن نُعامل كمواطنين،

وأن يعلم من يعتلي الكراسي...

أن لهذه الأرض أهلًا،

وأن لهذا الصمت نهاية.

إن هذا الفصل من الحكاية ليس سوى صورة واحدة من معاناةٍ طويلة.

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# حين تُصبح الخدمات ورقة يُساوِم بها المسؤول

في الضليعة، لا تُقاس كفاءة المسؤول بعدد المشاريع المنجزة،

بل بعدد الوعود المؤجلة.

هنا، لا تُبنى المدارس لتعليم الجيل، بل تُرمى في خطابات الاجتماعات لتُكسب المتحدث شرعية مؤقتة.

والخدمات الصحية ليست حقًا، بل حلمٌ مؤجل...

يتلاشى مع كل تأخير...

وكل توقيع لا يأتي.

في هذه المديرية، كل شيء يُدار ببطء،

وكل خطوة تُقابل بعقبة،

حتى أصبحت أبسط الحقوق تحتاج إلى وساطة... أو إلى معجزة.

الصحة؟

مجرد غرف متهالكة تُسمّى "مستوصف"،

لا يُوجد فيها طبيب مقيم، ولا ممرض دائم،

ولا حتى دواءٌ يُسكّن وجع طفل.

المدارس؟

بعضها بلا ترميم، وبعضها بلا معلمين،

والبعض الآخر...

مجرد مبانٍ خاوية يملأها الغبار والانتظار.

يذهب الطالب كي يتعلم، فيعود بعقلٍ مثقل بالفراغ،

لأنه لا معلم حقيقي، ولا منهج واضح،

ولا اهتمام من إدارة التربية التي غادرت الميدان منذ زمن،

واكتفت بالحضور في التقارير لا في الواقع.

مدير الصحة، مدير التربية، مدير المديرية...

ثلاثتهم يشتركون في شيء واحد: الغياب.

غياب الجدية، وغياب التخطيط، وغياب الضمير.

يتحدثون في الاجتماعات عن "الاهتمام بالمواطن"،

لكن المواطن لا يشعر إلا بالإهمال،

ولا يرى إلا الطرق المقطعة، والمرافق المهجورة،

والوعود المحنطة.

كل مطلب شعبي في هذه المديرية،

يُنظر إليه وكأنه عبء،

كل صوت يطالب بحقه...

يُصنّف كمُشاغب.

أما من يسكت، ويصبر، ويموت في صمت،

فهو المواطن النموذجي،

الذي يناسب مكاتبهم الوثيرة، وضمائرهم النائمة.

كم من مرة خرج أبناء الضليعة،

يحملون مطالبهم، ويعودون محمّلين بالوعود.

وعودٌ تُكتب في البيانات، وتُنسى في الدرج.

والسلطة؟

تراقب من بعيد،

كأنها تحكم مديرية أخرى،

أو كأن الضليعة مجرد رقم في خارطة لا تهم.

المؤلم أن هذه المعاناة ليست عابرة،

بل مزمنة، متوارثة،

حتى أصبح اليأس جزءًا من ثقافة الناس،

وباتوا يقولون: "ما في فايدة"،

وهم يعلمون في أعماقهم أن "الفائدة" لم تُمنع بقضاء الله،

بل بيد بشرٍ أهملوا، وتجاهلوا، وتخلّوا.

في الضليعة، يُقال للطفل:

"كبر وتعلّم"،

لكن لا أحد يخبره أن المدرسة بلا مدرس،

وأن حلم الطبيب لن يتحقق إلا إن غادر قريته كلها.

وفي كل بيت، قصة تشبه الأخرى،

أمٌّ بكت على ابنها المريض لأنه لم يجد إبرة،

وأبٌ دفن حلم ابنته لأنها لم تجد مدرسة تفتح أبوابها،

وشيخٌ مات على فراشه لأن الطريق إلى المستشفى

كان أطول من عمره.

كل هذه القصص لا تُروى في الإعلام،

ولا تُعرض على الشاشات،

لأنها لا تليق بصورة المسؤول،

ولا تتماشى مع الرواية الرسمية التي تقول

إن كل شيء "بخير".

لكن الحقيقة عارية... وصادمة.

الحقيقة تقول إن الضليعة تُدار بالإهمال،

وأن الخدمات تُستعمل كأوراق ضغط،

وأن من يمسك زمام الأمور،

لا يرى المواطن كأولوية...

بل كعبء يجب تحمّله حتى انتهاء الولاية.

في مكانٍ آخر...

تُبنى المدارس لتُخرّج أجيالًا،

وفي الضليعة...

تُهمل لتخرج أجيالًا لا تعرف القراءة.

في مكانٍ آخر...

تُفتتح المستشفيات ليُعالج الناس،

وفي الضليعة...

يُدفن المرضى لأنهم لم يجدوا حتى الاهتمام الذي يليق بهم.

وفي مكانٍ آخر، يُحاسَب المقصر...

أما هنا، فالكرسي يُحمي،

والتقارير تبرر،

والناس... تنسى، أو تُجبر على النسيان.

لكننا لا ننسى.

نكتب لأننا لا نملك سلاحًا غير الكلمة،

ولأننا نرفض أن نُساق نحو اليأس دون صوت.

نكتب لأن الخدمات ليست مِنّة من أحد،

بل حقٌّ لا يُساوَم عليه،

ولأن المسؤول إن لم يكن خادمًا للناس،

فهو عبءٌ عليهم...

ومهما علا اسمه، أو طال جلوسه،

فالمنصب لا يطهر الفشل، ولا يغسل العجز،

والمكانة لا تمنح الاحترام إن لم تُقرن بالفعل والرحمة.

كم من مسؤول جلس على كرسيه وكأنه ملك لا يُسأل،

يتعامل مع مطالب الناس وكأنها ترف،

ومع آلامهم وكأنها أخبار عابرة،

تصل إليه فلا يهتز،

ولا يتحرك...

ولا حتى يكترث!

إنه الغرور الإداري حين يتحول الكرسي إلى حصن،

وحين يُحاط المسؤول بجوفة من المجاملين،

الذين لا ينقلون إليه الحقيقة،

بل يبيعونه الوهم... كما باعه لمن قبله.

والناس؟

تُركوا بين خيارين أحلاهما مر:

إما أن يصبروا على حالٍ لا يُطاق،

أو أن يرفعوا صوتهم، فيُتهموا بأنهم يُحرّضون...

أو يُزعجون "الاستقرار".

لكن ما هو الاستقرار إن كانت الأرواح تُزهق بسبب الإهمال؟

وما هو الأمن إن كانت المدارس تُغلق،

والمستشفى في حافة الإنتضار،

والناس تموت في البيوت؟

في الضليعة، أصبح الحديث عن الحقوق ترفًا،

وأصبح طلبُ الخدمة يُقابل بالريبة،

كأن المواطن متّهمٌ لأنه طالب بحقّه،

وكأن المسؤول فوق المحاسبة، وفوق المساءلة، وفوق الواقع.

وما يزيد المرارة، أن بعض هؤلاء المسؤولين،

حين يخرجون للحديث في الإعلام،

يتحدثون عن "نجاحات"، ويذكرون "إنجازات"،

ويضعون صورهم بجانب خرائط جميلة،

لكأننا في سويسرا، لا في الضليعة!

لكن الأرض لا تكذب.

والناس تعرف من خدمها، ومن خذلها.

فهم لا يقيسون الإدارة بالكلام، بل بالأثر.

لا يريدون تلميعًا في الشاشات، بل تغييرًا في الواقع.

يريدون فقط طريقًا آمنًا إلى المدرسة،

يريدون مرفقًا صحيًا يُداوي الجرح قبل أن يتحول إلى مأساة،

يريدون كرامة تُحترم... وصوتًا لا يُطفأ.

وليس هذا كثيرًا...

بل هذا هو الحق،

الذي لا يُسقطه الإهمال،

ولا يُطفئه التجاهل،

ولا يُلغي شرعيته تقارير مصطنعة، ولا لجان لا ترى الحقيقة.

وحين يصمت الجميع،

تبقى الكلمات شاهدًا على أن الضليعة

لم تكن مدينة بلا ناس،

بل كانت مدينة بلا من يسمع ناسها.

وما زلنا نكتب،

لأن الكلمات حين تصدر من الوجع،

تكون أقوى من الرصاص...

وأصدق من التصريحات.

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# موتٌ بالصمت... القطاعُ الصحيّ يحتضر

كان يمكن للضليعة أن تُعَدَّ مدينةً هادئة،

لولا ذلك الصرير الخافت الذي يسمعه كلُّ بيتٍ فيها:

صريرُ الألم حين يشتدّ ولا يجد يدًا تمتدّ إليه.

هنا لا ترتفع صفّاراتُ الإسعاف،

ولا ترتعش مصابيحُ غرفة طوارئ،

لأن كلَّ ما كان ينبغي أن يوجد ـ من مستشفى

أو مركزٍ متخصّص ـ مغيَّبٌ كما غابت أشياء كثيرة في

هذه المديرية المنسيّة.

فالموتُ يأتي خفيفًا، متسللًا،

يمشي على رؤوس أصابعِ الإهمال،

ليقبض الأرواح قبل أن تلمحَ حقَّها في العلاج.

أوّلُ ما يلمسه الزائرُ للضليعة

هو غيابُ ذلك المبنى الأبيض الذي يُطمئن المدنَ

بأنّ حياةَ سكانها محميّة:

لا مستشفى.

كان الوعد به قديمًا؛ لافتةً نُصِبت ثم شاخت،

وما بين الوعد والانتظار، اعتمد الناسُ

على مجموعة مستوصفاتٍ «صحيّة»

لا تكاد تستحقّ هذا الاسم؛ غرفٌ ضيّقة ودهانٌ متقشّر

وأدواتٌ أشبهُ بالتذكارات القديمة.

يقال إن في كلٍّ منها طبيبًا،

لكن الطبيب غالبًا هو اسمٌ في كشف المرتّبات

لا في غرفة الكشف.

يأتي النهارُ فيجدُ المواطنُ المستوصفَ مختنقاً،

ويأتي الليلُ فلا يسمع إلا صوتَ الريح

يضرب بابًا صدئًا،

فيما رجلٌ يعضُّ على صرختِه كي لا يوقظ جيرانه.

ومع طلوع الفجر...

تسير سيّارةٌ متهالكة نحو مدينةٍ أخرى تحمل

على مقعدها الخلفيّ امرأةً تتلوّى،

أو طفلًا اشتعلت حرارته،

أو شيخًا يتكئ على صدر ابنٍ يبكي بصمتٍ

كي لا يربك عزم الطريق.

نقصُ الكادر صار حكايةً تُروى كنكتةٍ ثقيلة،

فالضليعة رغم عدم وجود ذلك المبنى الذي يطمئن إليه،

فإنه لا يجد الاهتمام الذي يستحقه

من المستوصف المتهالك.

أحدهم يقيم في المدينة المجاورة،

يأتي في أخر الشهر لتسلّم راتبه،

لأنه «موفد» لتغطية منشأةٍ أخرى.

أما القابلةُ فتتولى استقبال المخاضات الطارئة،

تدعو ربّها ألّا يتعقّد الوضع،

فليس في حقيبتها سوى قفّازٍ واحد وبعض الشاش.

أقصى ما يملكه الطبيب حين يحضُر.

هو مسكّنٌ رخيص يؤجِّل الألم،

كأنّ في التأجيل رحمة، أو كأنّ الألمَ قد يملّ فيغادر وحده.

يطول العجب حين يسأل الناسُ:

أين الصحّة؟ يُقال إنّها تُكتب تقاريرهاَ

تُرفع شهريًّا لتوضح«نسبة التغطية الصحيّة»

وتعيد تكرار المصطلحات: «خطةٌ إسعافيّةٌ عاجلة»،

«تنميةٌ مستدامة»، «تكثيفُ برامجِ الرعاية الأوّلية».

لكنّ الضليعة لم تر من خططه إلّا أوراقًا مُختومة،

لم توقِف نزفَ أمٍّ وحيدة، ولم تُخفّض

حرارة طفلٍ واحد.

صار الشابُّ المتعلّم يقرأ نشرة الدواء على الإنترنت

ليشرح لأمّه كيف تُقسِّم الحبوب،

وأضحى الهاتفُ الذكيُّ بديلًا عن الكشف المباشر؛

صورٌ لجرحٍ غائر تُرسَل إلى طبيبٍ في

مدينةٍ بعيدة يردُّ برسالةٍ قصيرة:

«نظّفه بمحلول ملحيّ، إن وُجد، واتجهوا إلى أقرب طوارئ».

أقربُ طوارئ تبعد ساعتين في طريقٍ

حفِرته الأمطار وأهملته الدولة.

تقول إحدى النساء:

«نحن لا نخاف الموت، نحن نخاف الألم قبله».

فالموت، مهما كان، نهايةُ المطاف،

أمّا الألم بلا مسكّنٍ ولا طبيبٍ ولا سريرٍ نظيف،

فهو جحيمٌ يُعاش في اليقظة.

ورغم كلّ هذا، تُحسَب الوفياتُ على أنّها «طبيعيّة»،

لأنّ التقارير تُفرِّق بين "الوفاة الطبيعيّة"

و«الوفاة نتيجة تقصيرٍ طبيّ»، لكنّ أحدًا لا يسأل: أليس غيابُ المستشفى بحدّ ذاته تقصيرًا طبيًّا عُمريًا؟

لا أحد يجرؤ أن يُنكِر على المسؤولين أنّهم

«يعملون وفق الإمكانات»،

غير أنّ الإمكانات ضاعت بين جيبٍ وجيب،
ورحل الكادر لأنّ المكافأة لا تُسعف،

وحُجِبت الأجهزةُ لأن المناقصة لم تُسدَّد،

وضاعت حياةٌ لأنّ الضليعة لم تأتِ يومًا على رأس الأولويّات.

ولكي نفهم مأساةَ هذه المديرية،

يكفي أن نستمع إلى الطفلِ الذي سُئل: ماذا تريد

أن تكون حين تكبر؟ فأجاب:

«سائقَ إسعافٍ يوقف النزيفَ قبل أن يموت الناس».

في مدنٍ أخرى،

يحلم الطفل بأن يكون طبيبًا،

وفي الضليعة يكفي أن يكون سائقًا يمتلك

ضوءًا أحمر يدويًّا، ليشعر بأنّه صنع فرقًا.

هكذا يحتضر القطاعُ الصحيّ هنا:

بصمتٍ ثقيل، وعيونٍ مفتوحةٍ على السقف،

وقلوبٍ خائفةٍ من الطريق الطويل.

ولا تزال السلطةُ ترقب المشهد من بعيد،

تُراجع الشكاوى، وتُعيدُها إلى درجٍ آخر،

ثم تكتب في ختام التقرير: «الوضع تحت السيطرة».

والحقيقة أنّ الشيءَ الوحيد الواقع تحت السيطرة...

هو الصمت

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# تعليمٌ منتهي الصلاحية !

في الضليعة، لا يقرع الجرس ليبدأ الدرس،
بل يُقرع ناقوس الخطر في كل صباح.
الطريق إلى المدرسة ليس طريقًا
إلى النور كما يُقال، بل هو رحلةٌ إلى
مبنًى بائس، يعتذر من التعليم كلّ يوم.
عندما تسير بين مدارس الضليعة،
ترى الطباشير تُكابد،
والسبورات تئنّ تحت خطّ الطين المتراكم على الجدران،
والمقاعد مكسورةٌ منذ أعوام،
ولا أحد أصلحها.
لا ترى لافتة "مرحبًا بكم" على البوابة،
بل ترى جدارًا نصفه قائم،
ونصفه الآخر سقط ولم يهتم به أحد.
لا رائحة دفاتر، ولا صدى صوت معلمٍ يشرح،

بل صمتٌ ثقيل، كأنما كل شيءٍ هنا توقف...

حتى الطموح.

المدارس هنا تتنافس في شيءٍ واحد: من الأسوأ حالًا.

بعضها بلا أبواب، بعضها بلا مياه،

بعضها بلا كهرباء.

بعضها بلا طاولات، وبعضها بلا طلاب...

لأن الطلاب اختاروا البقاء في بيوتهم

على أن يذهبوا ليجلسوا في فصولٍ باردة كقلوب المسؤولين.

تسأل عن المعلمين، فيقال لك: لا يوجد.

بعضهم انتقل إلى مدنٍ أخرى

بحثًا عن بيئة تليق بالعلم،

وبعضهم بقي لكن بغير نفس...

فالرجل الذي يُدرّس ثلاثة فصول بجهدٍ واحد،

وبدون حوافز، لا ينتج طالبًا... بل ينتج تعبًا.

الصف الأول يدرّسه خريجٌ من كلية الآداب،

والصف السادس لا معلم له منذ شهرين،

والرياضيات تُشرح كما تشرح القصائد،

والعلوم لا تُجرّب،

بل تُحفظ من سبورةٍ قديمة كتبت قبل أعوام.

حتى الكتب، إن وُجدت، فهي منهكة،

مقطعة الأطراف،

مرّت على ثلاثة أجيال قبل أن تصل لهذا

الطفل الصغير الذي لا يجرؤ على الحلم بشيء جديد.

ومن مفارقات القدر،

يُسألون الطلاب عن الجدول الدوري

وهم لا يعرفون معنى كلمة "مختبر"،

ويُطلب منهم التعبير عن أحلامهم،

وهم لم يتعلموا كيف يُمسكون قلمًا صحيحًا.

في الضليعة،

هناك مدرسة ابتدائية تُغلق عند الساعة العاشرة صباحًا

لأن "المعلم مرتبط بمزرعته"،

ومدرسة أخرى يُدرّس فيها مديرها

لأنه لا يوجد أحدٌ غيره،

وثالثة يُكلّف فيها طالب في الصف التاسع

بتعليم من هم أصغر منه لأنه "الأفضل بين السيئين".

أما البنية التحتية، فهي ليست تحتيةً فحسب...

بل منحدرة.

لا حمامات صحية، لا سقوف تقي من المطر،

وفي الشتاء يتحول الفصل إلى بحيرة،

وفي الصيف إلى فرن،

والمراوح التي عُلّقت ذات يوم كنوعٍ من الشكليات...

لا تعمل منذ سِنِين.

كل هذا يحدث، ومدير التربية يكتب تقاريره الرنانة:

"خطة التطوير التربوي تسير على قدم وساق"،

وهو لا يعرف أن قدم الطفل

تسير حافية إلى مدرسةٍ بلا أبواب،

وأن ساق المعلم تُرهق في قطع المسافات

بين مدرسة وأخرى

لأن النظام يطالبه أن يغطي فراغاتٍ لا تنتهي.

بل الأسوأ...

أن هذه الفجوة التعليمية لا يشعر بها أحد من السلطة.

وكأن أبناء الضليعة لا يحق لهم

أن يحلموا بدراسةٍ تفتح لهم الأبواب

أو أن يتخرج منهم طبيب، أو مهندس،

أو حتى معلم جديد يُصحّح ما أفسده من سبقوه.

من هنا يبدأ الموت البطيء للأجيال.

فحين يُقتل التعليم، لا يُقتل اليوم فقط...

بل يُقتل الغد.

وما من جريمة أبشع من جريمةٍ تُرتكب بصمت،

وباسم "قلة الإمكانيات"،

في حين أن الإمكانيات تذهب إلى مشاريع

لا يرى منها المواطن إلا صورة على مواقع التواصل.

وإذا كانت الأمم تُبنى على أساس التعليم،

فماذا عن أمةٍ تُهدم على يد من يجهلون أهميته؟

ماذا عن جيلٍ لا يعرف القراءة بطلاقة،

ولا الكتابة بسلاسة،

ولا يفهم ما يُطلب منه، إلا أنه مجرد رقم في كشف الناجحين؟

في الضليعة، التعليم يشبه الطعام الفاسد:

موجود بالشكل،

منتهي الصلاحية بالمضمون.

ويُطلب من الناس أن "يكتفوا به"،

وأن يباركوا "جهود التربية"،

رغم أن مدارسهم تنطق بالخذلان،

وطلابهم ينظرون بعيونٍ تسأل:

"هل هذا كل ما نستحق؟"

في قلب كل أبٍ في الضليعة حُلمٌ صغير...

أن يرى ابنه يحمل شهادة، يعلو بها فوق سقف التعب،

ويكسر بها حلقة الفقر التي قيّدتهم لسنوات.

لكن بين الحلم والواقع...

وادٍ سحيق اسمه: سوء المعيشة.

في الصباح الباكر، ترى الأب يوقظ ابنه بحنان،

يُمسك بيده القديمة المتشققة من العمل

تحت الشمس، ويقوده إلى الطريق الترابي المؤدي للمدرسة.

لا توجد باصات، ولا مظلات،

ولا حتى طريق ممهد.

فقط طفلٌ يسير في الطين، وأبٌ يهمس في داخله:

"ربما يتغيّر شيء في الغد".

الأب الذي بالكاد يجد قوت يومه،

يشتري الدفتر والقلم بدلاً من الخبز،

ويُصلح حذاء ابنه المهترئ مرارًا بالإبرة والخيط،

لأنه لا يستطيع شراء غيره.

ومع ذلك، لا يشكو...

لأنه يعتقد أن التعليم هو السلاح الوحيد

الذي يمكن أن يمنح ابنه حياةً لا تشبه حياته.

لكنه ما يلبث أن يصطدم بالواقع:

مدرسةٌ بلا معلمين،

فصولٌ بلا شرح،

نظامٌ يستهلك أعمار الأطفال دون أن يمنحهم المعرفة.

فهل يمكن لابنه أن يحلم،

إذا كان الحلم نفسه لا يُدرَّس في مدرسته؟"

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# الطرقات... وجعٌ لا يُرَصّف

في الضليعة، لا تسير المركبات على طرقٍ...
بل تتخبّط فوق أوجاع.
الأسفلت هنا لا يُفرَش، بل يُنسى.
والطرقات لا تُوصل إلى الأحلام، بل تُقطّعها،
وتُعرقلها، وتدفنها تحت غبار الإهمال.
الطريق الوحيد الذي يربط المديرية بمحيطها
يشبه جرحًا قديمًا فُتح مرارًا دون أن يُداوى.
حُفرٌ تتكاثر كأنها تنمو من الأرض،
ومطباتٌ لا تعرف نظامًا، ومنعطفاتٌ تخفي خلفها الموت.
السيارات القديمة التي تُنقِل الناس،
تُصارع الوحل في الشتاء والغبار في الصيف.
والسائق لا يقود...
بل يناور، كمن يسير في حقل ألغام،
متوجسًا من انكسار إطار، أو انقلاب مفاجئ،
أو حجرٍ يسدُّ الطريق.

في كل بيتٍ حكاية مع الطريق.

امرأةٌ أسقطها المخاض في منتصف الطريق

لأنها لم تصل إلى المستوصف في الوقت المناسب،

طفلٌ نزف حتى الموت

لأن سيارة الإسعاف لم تستطع الوصول بسبب حفرة غادرة،

ومسنٌّ لم يكمل رحلته إلى العلاج

لأن السيارة تعطلت في منتصف الطريق.

هنا...

الحفر ليست تفاصيل،

بل فواصل بين الحياة والموت.

مع كل حملة انتخابية، يُوعد الناس بـ"مشروع سفلتة شامل"،

لكن السنوات تمر، ولا سفلتة،

ولا حتى حفنة تراب تُرمى على العيوب.

السلطة تكتفي بالصمت،

والناس يبلعون غبار الطريق وصبرهم ينفد.

حتى طلاب المدارس، يمشون كل صباح في دروبٍ أشبه بمتاهات.

أقدامهم تغوص في الطين،

وملابسهم تتسخ قبل أن يصلوا،

وبينما يُطلب منهم الحضور والانضباط،

لا يُطلب من أحد إصلاح طريقٍ يليق بكرامتهم.

رجال الضليعة أرهقتهم الأعطال،

والنساء فقدن الأمن في تنقلاتهن،

والمرضى يُحملون على الأكتاف أحيانًا

لأن السيارات لا تصل.

وما من مسؤولٍ جاء، إلا والتقط صورة على أطراف الطريق، وقال عبارته الشهيرة:

"سنعمل قريبًا"... لكن "قريبًا" هذه لا تأتي أبدًا.

إن الطريق ليس مجرد إسفلت،

بل شريان حياة... حين يُقطع، يُخنق كل شيء.

وإن الإهمال في تعبيده ليس فقط تقصيرًا في الخدمات،

بل خيانة لحق الناس في التنقل الآمن،

في الوصول إلى مدارسهم ومستوصفاتهم وأسواقهم

دون أن يغامروا بأرواحهم.

في الضليعة، الطريق يُعلّم الصبر،

لكنه لا يُعطي الأمان.

ويُذكّرك في كل مطب، أن لا أحد يهتم،

وفي كل حفرة، أن الصمت الرسمي أعمق منها.

كل صباح، حين تهتز السيارة تحتك، تهمس في داخلك:

"إلى متى؟"

لكن لا جواب.

فالطرقات هنا... وجعٌ لا يُرَصّف.

الوجع لا ينتهي عند حدود الطريق فقط،

بل يمتد إلى ما بعد العناء الجسدي.

فالسائق الذي يقضي نصف نهاره في ورشة التصليح،

والراكب الذي يصل إلى بيته

منهكًا من وعورة الطريق،

والطالب الذي يفقد جزءًا من طاقته

قبل حتى أن يفتح كتابه،

كلهم يدفعون ثمن طريق لم يُنجز بعد.

ما من عذرٍ منطقي يبرر هذا الإهمال المزمن.

فالطرقات ليست رفاهية، إنها ضرورة،

بل شرط أساسي من شروط الحياة الكريمة.

كيف لدولة أن تتحدث عن التنمية دون

أن تضمن أول شروطها: الوصول؟

في الشتاء، تصبح الضليعة جزيرة معزولة.

السيول تقطع الطريق الوحيد،

وتحول السكان إلى محتجزين في قراهم،

ولا وسيلة للنجاة إلا الانتظار.

في تلك اللحظات، لا فرق بين الطريق والقدر.

وبين القرية والمدينة، تذوب الأحلام في المطبات.

شابٌ حُرم من استكمال دراسته

لأنه لم يعد يحتمل مشقة التنقل،

وآخر فقد فرصة عمل لأنه لم يصل في الوقت المحدد.

والحكايات أكثر من أن تُحصى، كلها تبدأ من حفرة،

وتنتهي بخسارة.

المؤلم أن الوعود كانت دائمًا جاهزة،

والخطط تُرفع على الأوراق، والموازنات

قد تُعتمد، لكن التنفيذ؟ يبقى معلقًا في هواء اللامبالاة.

هل يُعقل أن مديرية كاملة،

بتاريخها وسكانها وموقعها، لا تستحق طريقًا واحدًا آمنًا؟

هل يُعقل أن تصل رسائل المواطنين

إلى كل الجهات، ثم تعود بلا ردٍّ،

كأنها صرخة في صحراء؟

إنهم لا يطلبون معجزة، فقط طريقًا، لا يُهينهم كلما عبروا عليه.

الأمهات يحملن أطفالهن بخوف،

وكأنهن يعبرن نهرًا لا طريقًا،

والمسنون يرفضون الخروج من بيوتهم

إلا في الحالات الطارئة،

والعرسان يؤجلون حفلاتهم

لأن الضيوف لا يقدرون على الوصول.

هذه ليست مبالغة، بل واقع، يُثبت كل يوم

أن الدولة لا ترى الطريق كما يراه الناس: قضية حياة.

الطرقات هنا لا تُمهد،

لكنها تمهّد لمزيد من الغضب.

والغضب حين يتراكم على مدى سنين،

يتحول إلى قناعة: أن أحدًا لن يُصلح هذا الطريق...

سوانا.

ربما يكون يومًا ما، شابٌ

من أبناء الضليعة،

هو من يضع أول حجر في سفلتة هذه الطريق،

لا منة من أحد، بل وفاء لحلمٍ قديم دهسته حفرة،

وأُجهض عند أول مطب.

وحتى ذلك الحين،

ستبقى الضليعة تسير على الأشواك... بصمت.

وإذا كانت الطرق الخارجية موجعة،

فإن الطرق الداخلية داخل مركز المدينة لا تقل عذابًا.

السوق الشعبي في الضليعة تحوّل إلى

منطقة اختناقٍ دائم. الشوارع ضيقة بالكاد تتسع لسيارة واحدة،

ومع ذلك تصطف فيها مركبات الباعة والعابرين

والمتسوقين.

في ساعات الذروة، لا تكاد تجد منفذًا للخروج

أو الدخول، الناس تتدافع،

والسيارات تلتصق ببعضها

كما تلتصق الأرواح في زحام اليأس.

لا تنظيم، لا إشراف، ولا حتى لوحة تشير إلى اتجاه واضح.

الازدحام هنا ليس حالة مؤقتة،

بل جزء من هوية المكان، وكأن الفوضى

أصبحت أمرًا طبيعيًا.

لا مواقف مخصصة، ولا أرصفة ممهدة،

والبضائع تُفرش في وسط الطريق،

مما يزيد من شدة الاختناق.

وكل هذا، أمام أعين السلطة...

التي لا ترى. وإن رأت، لا تتحرك.

لقد تحوّلت الطرقات داخل الضليعة

إلى شِباكٍ تُمسك الناس، وتقيّد حركتهم،

وتزيد من معاناتهم اليومية.

إن الطرقات ليست مجرد مسارات تُسير الناس،

بل هي مرآةٌ تعكس حال المجتمع...

وفي الضليعة،

الطريق يعكس الإهمال من كل زاوية.

فهل يعقل أن يعتاد الإنسان على العذاب

حتى يصير هو القاعدة، والراحة هي الاستثناء؟

إلى متى نغرق في الحفر، ونختنق في الزحام،

ونمشي فوق الجراح، دون أن نجد من يسمع؟

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# الفساد الإداري: دولة داخل الدولة

ثمة ما هو أخطر من غياب العدالة...

أن تُصبح العدالة وهمًا،

حكايةً تُروى لا لتُصدّق،

بل لتُسكت.

ليس الخراب في الشوارع وحدها،

بل في النفوس التي اعتادت الانتظار دون أمل،

وفي القلوب التي تكسّرت على أبواب الإدارات،

وفي العيون التي أُطفئت فيها شعلة الثقة بالوطن.

في هذا الركن المنسي،

حيث الورق يُنجز حين يُرفع إلى "الجهة المناسبة"،

وحيث التوقيع لا يُكتب بالحبر بل بالمعرفة،

وحيث الحلم وظيفة،

لكن الوظيفة محجوزة "لمن يعرف".

الفساد ليس مجرد جريمة مكتبية،

بل جريمة أخلاقية،

جريمة ترتكب كل يوم،

حين تُفتح أبوابٌ وتُغلق أخرى،

لا بناءً على الحق،

بل على الهوى، والمصلحة، والقرابة.

إنها دولةٌ أخرى، تعيش داخل الدولة.

لا ترفع علمًا، لكنها تحكم.

لا تصدر قوانين، لكنها تُنفذها حسب المزاج.

لا تظهر في النشرات الرسمية،

لكنها حاضرة في كل إجراء،

وفي كل تأخير،

وفي كل استثناء مريب.

يُعلن عن مشاريع،

فتُرصد لها ميزانيات،

لكنها لا تصل إلى الأرض،

بل تتبخر في الطريق،

تُختزل إلى لافتة، أو إلى صورة أمام الكاميرات.

وما يُنجز – إن أُنجز – لا يتجاوز تجميل الواجهة

بينما الجدار يتآكل من الداخل.

في هذه الدولة المتخفية،

المراتب لا تُمنح على أساس الكفاءة،

بل على مقاس العلاقة.

والعقود لا تُفاضل بين الأفضل،

بل تُوزّع كالميراث بين أبناء النفوذ.

المواطن الشريف،

الذي يسير بأوراقه من نافذة إلى أخرى،

يحمل في كل منعطف خيبة،

وفي كل توقيع مؤجل صفعة...

فهو ليس من "أهل النادي"،

ولا يعرف مفاتيح "الرضا الإداري".

وهنا الخطر:

أن تُصبح النزاهة عبئًا،

وأن يتحوّل الحق إلى حلم مؤجل،

وأن يُعلّم الطفل منذ نعومة ضميره أن الواسطة أقصر طريق،

وأن لا فائدة من الكفاح ما لم يكن مدعومًا بظهرٍ يساند.

هكذا يُقتل الضمير بصمت.

ويُهزم الوطن من داخله،

قبل أن ترفرف عليه راية خارجية.

كل مشروع يُسرق،

هو طريق لم يُرصف.

كل مناقصة تُزوّر،

هي مدرسة لم تُبْن.

كل قرار يُؤخذ لأجل المصالح،

هو ضربة في صميم المصلحة العامة.

ولأن الفساد حين يُصبح ثقافة،

لا يعود مجرد انحراف...

بل يتحول إلى منظومة،

تُبرر نفسها،

وتُجمّل قبحها،

وتُعلّم أجيالًا كيف يكون "التحايل" فنًا،

وكيف يصبح "السكوت" حكمة.

وحين يخاف المواطن من المطالبة بحقه،

وحين يُصبح الاعتراض خطرًا،

وحين تُطفأ الشكاوى تحت طاولات "عدم كفاية الأدلة"،

فاعلم أن الدولة لم تعد دولة للجميع،

بل دولة لأولئك الذين يقفون خلف الستار،

يمسكون بالخيوط،

ويُحرّكون كل شيء...

إلا العدالة.

ووسط هذا الضجيج،

صوت الحقيقة باهت،

لكن لا بد أن يُسمع.

لأن الصمت لن يُعيد الحقوق،

ولأننا حين نسكت عن الفساد،

نُساهم في تثبيته،

ونُبرر استمراره.

الوطن لا يُبنى بالورق،

ولا يُنهض بالخطب،

بل يُصان حين يكون القانون أقوى من العلاقات،

وحين تكون الخدمة حقًا لا منّة،

وحين يعرف كل مواطن،

أنه ليس أقل من غيره...

وأن كرامته لا تُقاس بالقرب من السلطة،

بل بحقه الذي لا يُنتزع.

لكن الأخطر من الفساد،

هو اعتياد الناس عليه...

حين يُصبح الغضب مزحة،

والتذمر عادة،

والأمل مكسور الجناح.

وحين ترى من ينهب،

يمشي واثق الخطى،

ومن يعترض،

يتوارى خائفًا،

فاعلم أن الموازين قد انقلبت،

وأن الوطن بات يُدار كملكية خاصة،

لا كعقد بين الدولة ومواطنيها.

في كل زاوية من المؤسسات،

هناك موظف صامت،

يعرف الحقيقة،

لكنه آثر السكوت...

ليس لأنه راضٍ،

بل لأنه تعب من الطرق المغلقة،

والردود المعلبة،

والملفات التي لا تتحرك إلا بإشارة.

وفي كل صف دراسي متهالك،

وفي كل مركز صحي بلا دواء،

وفي كل طريق منخور بالحفر،

توجد آثار أصابع أولئك الذين سرقوا الحاضر،

وأفسدوا المستقبل.

هذا النوع من الفساد لا يُرى،

لكنه يُحس.

تراه في وجه الأم التي تنتظر

سريرًا لابنها في مستشفى لا توجد

فيه أسرّة ولا مستشفى بالأساس.

وفي صمت الأب الذي يُطرد من بوابة مصلحة حكومية لأنه لا يملك وساطة.

وفي ارتباك الشاب الذي يحمل شهادته،

ويُقابل بابتسامة باردة تقول له: "انتظر دورك... إن وُجد دور لك".

إنهم لا يسرقون المال فقط،

بل يسرقون الطموح،

ويقتلون الشعور بالجدوى.

فما معنى أن تتفوق، إن كانت الوظائف لأصحاب "المفاتيح"؟

وما جدوى أن تلتزم بالقانون، إن كان المتجاوز هو من يُكافأ؟

نحن أمام ثقافة تُغرس يومًا بعد يوم،

تعيد تشكيل العقل الجمعي على مبدأ:

"اجعل لك ظهرًا، أو انكسر في الظل".

ومتى ما أصبح الفساد هو القاعدة،

صار النزيه غريبًا،

صار الشريف مُتهَماً،

وصار المصلح عدوًا للنظام.

تخيل مجتمعًا يتوارى فيه الحق،

ويُرفع فيه الباطل على أنه "ذكاء"،

وتُروَّج فيه الواسطة على أنها "حنكة"،

ويُرمى صاحب المبادئ بأنه "ساذج"

لا يعرف كيف تسير الأمور.

أي وطن هذا الذي يُكافئ الانتهازي،

ويخذل الأمين؟

أي وطن هذا الذي يُقدّم الكراسي كجائزة للموالين،

ويكسر أقلام الناصحين؟

وحين تكثر الأصوات التي تُبرر،

وتتراجع الأصوات التي تُنكر،

فاعلم أن المرض بلغ العظم.

لكن...

حتى في هذا العتم،

ثمة قلوب لم تُبع،

وثمة ضمائر تقاوم،

وإن خُذلت،

وإن أُقصيت.

الفساد لا يُهزم بخطبة ولا بمقال،

بل بالوعي،

بالجرأة على السؤال،

بالوقوف في وجه التحايل،

بالإصرار على أن الخدمات حق،

لا مِنّة من مسؤول.

الوطن لا يحتاج فقط إلى مشاريع،

بل إلى ضمير حيّ،

يرى في كل طفل بلا مقعد دراسي جريمة،

وفي كل مركز صحي بلا دواء خيانة،

وفي كل صفقة مشبوهة عارًا لا يُغتفر.

حين نصمت،

نمنحهم ما يريدون:

أن نحني رؤوسنا،

أن نخاف،

أن نستسلم.

لكن... حين نرفع الصوت،

وحين نكتب،

وحين نواجه،

نُفسد عليهم نشوة العبث،

ونُوقظ الأمل من سباته الطويل.

فالوطن، كل الوطن،

يبدأ حين لا يكون المسؤول سيدًا،

بل خادمًا...

وحين لا تكون المناصب غنائم،

بل أمانات...

وحين لا نحتاج إلى واسطة لنحصل على ما نستحقه.

ذلك هو الوطن الذي نستحقه،

وذلك هو الحلم الذي يجب أن نحرسه...

مهما طال الطريق.

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# من يصرخ لأجلنا؟

في الضليعة،

ليس الفقر وحده ما يؤلم، بل الصمت أيضًا.

صمت الجهات، صمت الإعلام، صمت الضمير.

وكأن الألم هنا شأن خاص،

لا يستحق أن يُروى أو يُذاع.

تمرّ الحكايات الموجعة دون أن تُنقل.

وتموت المعاناة في الصدور،

لأن لا أحد هناك ليكتب، أو يُوثّق، أو يصرخ.

فالمنابر الإعلامية إما صامتة، أو مُجندة،

أو منشغلة بما هو أقل أهمية من أنين الناس.

وفي كل مرة تُطرح فيها شكوى، تذهب إلى الأدراج.

تُسجّل وتُختم، ثم تُنسى كما نُسيت عشرات القضايا قبلها.

لا نتائج، ولا مساءلة،

ولا حتى ردٌّ يشرح لماذا صمتوا، أو كيف تجاهلوا.

أما الجهات الأعلى، فهي أشبه بجدارٍ أملس.

ترفع رأسك وتنادي، لكن لا أحد يرد.

كأنّ معاناة الضليعة تقع خارج حدود الاهتمام،

أو كأنها لا تُحسب من نصيب الوطن.

من يُراقب أعمال المدير؟

ومن يُحاسب مدير الصحة؟

ومن يُراجع أداء مدير التربية؟

في غياب الرقيب، يتحوّل المنصب إلى حصن منيع.

لا يُسأل فيه المسؤول، ولا يُراجع فيه القرار.

وإذا ما تجرأ أحدهم وصرخ، يُتهم بالتحريض

أو يُنبذ كناقم.

لقد تعب الناس من طرق الأبواب.

تعبوا من تكرار القصص.

من كتابة الشكاوى.

من انتظار الاستجابة التي لا تأتي.

وحتى حين يأتي صوتٌ من بعيد،

فهو يعلو لحظة،

ثم يخبو إلى الأبد.

لماذا لا تُسلّط الكاميرات على وجعنا؟

لماذا لا تُعرض قصصنا في نشرات الأخبار؟

لماذا يُسمح للألم أن يتمدد بلا شهود؟

الإعلام، في الأصل، صوت من لا صوت له.

لكنه هنا، إمّا مشغول بالحفلات

والمناسبات،

أو متواطئ بالصمت، أو مقيد بخيوط تُحرّك

ما يجب وما لا يجب أن يُقال.

والجهات العليا؟ هي الأخرى بعيدة،

ربما لم تطأ أقدامها الأرض التي نعيش فوقها،

ولم ترَ المآسي التي نواجهها.

تقارير مكتوبة ومُصفّفة تُرسل لها، لكنها لا تعكس الحقيقة.

لأن الحقيقة لا تكتب على الورق،

بل تُحسّ على الأرض، وتُبصر في الوجوه الشاحبة.

وهكذا، نجد أنفسنا محاصرين

بين سلطة صمّاء، وإعلام خافت،

ورقابة غائبة، ووجع يتكاثر.

وكأننا نعيش في مكانٍ بلا شهود،

كأن الأرض ابتلعت صرخاتنا، والسماء أغلقت أبوابها علينا.

في الضليعة، الجوع ليس فقط في البطون،

بل في الأرواح، والعطش ليس للماء، بل للعدالة.

كم من أبٍ مات قهرًا

لأن صوته لم يُسمع، وكم من أمٍّ بكت بصمت

لأن ألمها لم يُوثّق.

نُدفن أحياء في صمتٍ قاسٍ،

لا لأننا لا نصرخ، بل لأنهم اختاروا ألا يسمعونا.

نعيش كل يوم وكأننا لا ننتمي، كأننا خطأٌ على خارطة الوطن.

من يصرخ لأجلنا؟

من يوصل صوتنا؟

من يتبنى قضايانا دون مصلحة أو صفقة؟

لقد تحوّل الصراخ إلى ترفٍ لا يملكه الجميع.

فالأغلبية هنا، قد استسلمت للخذلان،

وألفت الصمت، كمن يضع رأسه على وسادة الانتظار،

ينام على أملٍ لا يأتي.

والسؤال الأكبر، الذي لا يزال يُلاحقنا:

هل نحن مجرد أرقام تُعدّ في التقارير،

أم بشرٌ لهم حقوق تستحق أن تُسمع؟

في ظل هذا الصمت المطبق،

يتحول صوت الألم إلى همسات تكاد لا تُسمع،

وأحاديثٌ تُطوى قبل أن تُقال.

هناك في الضليعة، حيثُ تنتظر المظلوم

يتردد صدى صراخه في أروقة مكاتب

خالية من الرحمة،

حيث لا مكان للألم في جدول أعمالهم،

ولا اهتمام لمعاناة الناس في أولوياتهم.

صمتهم ليس فقط تجاه القضايا،

بل هو نوع من الإعدام البطيء لآمالنا، وإغلاق أبواب

كل حلم كان يُنتظر أن يُبنى.

لقد تعودنا على هذا الصمت، حتى صار

جزءًا من حياتنا اليومية.

لم نعد نتفاجأ بأن تُغلق الأبواب في وجوهنا،

أو تُرمى الشكاوى في صناديق النسيان،

أو تُلغى الوعود التي لم تُكتب على الورق فحسب،

بل في القلوب.

ووسط هذا السكون، يستمر الفساد كوحشٍ جائع،

لا يشبع، يستغل غياب الرقابة ليأكل من حقوقنا،

ويُنهب أموالنا دون حسيب أو رقيب.

أين الإعلام؟

أين الصوت الذي يعلن للناس الحقائق؟

ربما لم تعد هناك صحافة تُنير الطريق،

بل وسائل إعلام تتحول إلى دمى تُحركها

أيادي غامضة، تسرق الحقيقة وتعيد

صياغتها لخدمة مصالح غيرنا.

فالإعلام الذي يفترض أن يكون درعنا ومرآتنا،

تحوّل إلى حاجزٍ يمنع الحقيقة من الوصول إلى النور،

ويُشارك في دفن أحلامنا تحت ركام الصمت.

أما الجهات العليا،

فبالرغم من كثرة التقارير التي تُرسل إليهم،

إلا أن كل تلك الأوراق تتحول إلى غبارٍ

لا يملأ سوى رفوف مكاتبهم.

وكأن تلك المعاناة ليست سوى نقاط

في إحصائيات تُقرأ بعيدا عن الواقع.

وأذانهم لا تسمع عيونهم لا ترى دموع الأرامل

وصرخات المرضى،

وقلوبهم لا تشعر بمعاناة الأطفال الذين

يحلمون بالتعلم في مدارس تُعدّ بالمصائب.

إنها لحظة نعي ذاتي وقهر عميق،

حين تكتشف أن من وضعوا لتكون راعيتك،

قد تخلوا عنك، أو كانوا طوال الوقت

عدوًا خفيًا يُفاقم جراحك.

حينها يصبح السؤال المؤلم:

كيف نستمر في هذه الحياة؟

كيف نزرع الأمل في أرضٍ لم تعد تثمر سوى الوجع؟

لكن رغم كل ذلك،

لا يزال في أعماقنا شعلة صغيرة، نور خافت يُقاوم الظلام.

تلك الشعلة هي صوت الناس الحقيقي،

همسات البسطاء، آهات المظلومين

الذين لم يستسلموا بعد.

قد لا يسمعهم الجميع،

وربما لا يلتفت إليهم إلا القليل،

لكنهم موجودون، يقاومون، يصنعون

من ألمهم قصة صمودٍ لا تنتهي،

وفي النهاية،

تظل الضليعة في انتظار صوتٍ واحد،

يصرخ لأجلها، يحكي عن وجعها،

يطالب بحقها، يرفع من عزيمتها،

ويعيد إليها الكرامة التي سلبتها سنوات من الإهمال والتجاهل.

هل سيأتي هذا الصوت؟ أم سنظل أسرى لصمتٍ قاتل؟

هذا هو السؤال الذي نطرحه الآن،

ونحن ننتظر إجابة تأتينا من حيث لا نتوقع،

من داخلنا، من ضمائرنا،

أو من قلوب من يحبون هذه الأرض كما نحبها.

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# " حين يصبح الصمت خيانة "

ليس كل جريمة ترتكبها يد...

بعض الجرائم يرتكبها الصمت.

وبعض الخيانات، لا تحتاج إلى كلام...

يكفي أن تصمت حين يجب أن تصرخ،

أن تغض الطرف حين ترى الوحل،

أن تُسكت ضميرك حين يُستغاث به.

في وجه الفساد،

هناك من يسرق،

لكن هناك أيضًا من يُجمّل،

ومن يُبرّر،

ومن يصمت،

وكلهم شركاء في الجريمة... وإن اختلفت الأدوار.

الصمت لم يكن يومًا حيادًا.

الصمت، حين تَعلم وتسكت،

حين ترى وتشيح بنظرك،

حين تُقرّ في داخلك وتخشى التصريح،

هو خيانة من نوع آخر...

خيانة للقيم، وللوطن، ولنفْسك أولًا.

كم من موظف نزيه،

أغلق عليه بابه، وقال: "مالي ومالهم".

كم من مسؤول شريف،

اختار أن يعتكف بدل أن يُقاوم.

كم من مثقف،

آثر المجاملة على المواجهة...

فظل يكتب نصف الحقيقة،

ويُشير إلى الخلل دون أن يُسميه.

هكذا ينمو الفساد،

ليس فقط بالنهب،

بل بفراغ الساحة من الشجعان.

قد نفهم أن يخاف الإنسان،

فالخوف فطرة...

لكن أن يتحوّل الخوف إلى مبدأ،

أن يُصبح الخنوع قناعة،

وأن نُدرّب ألسنتنا على "السكوت الحكيم"،

فهذه ليست حكمة... بل هزيمة.

إن أشد ما يُرعب الفاسدين،

ليست القوانين... بل الأصوات.

الصوت الذي يقول: "لا"،

الصوت الذي يفضح،

الذي يُسمي الأمور بأسمائها،

الذي لا يُخفي جُرحه بالتجميل.

الفاسد لا يخشى الأوراق،

فهو يعرف كيف يُقلبها.

لكنه يخشى الكلمة الحرة،

لأنها تصيبه في صورته...

وفي سلطته...

وفي تاريخه الذي لا يريد لأحد أن يقرأه دون تزييف.

حين يصمت الناس،

يُفتح الباب أمام طغيان جديد:

طغيان العادة.

يعتاد الموظف الرشوة،

ويعتاد المواطن أن يدفع،

ويعتاد الجميع على العبث كأنه نظام،

ويصبح "الاستثناء" هو الأصل،

ويُنظر إلى النزيه ككائن غريب لا يفهم الحياة.

والأخطر من ذلك...

أن تنشأ أجيال ترى كل هذا،

ولا تستنكر.

تراها، فتُصاب بما يشبه العمى الأخلاقي:

لا تُنكر الفساد، ولا تُباركه...

بل تعتبره "قدرًا" لا يُغيّر.

وهنا تكون الخسارة الكبرى:

ليس فقط في الميزانيات المهدورة،

ولا في الطرق غير المرصوفة،

ولا في المستشفيات الخالية...

بل في النفوس التي خمدت فيها النار،

وانطفأ فيها الشعور بالمسؤولية.

من السهل أن نقول: "وماذا بيدي؟"

من السهل أن نُلقي اللوم على "السلطات"،

أن نشير بأصابعنا إلى الأعلى،

وننسى أننا في صمتنا نبني جدارًا آخر للفاسدين،

نُطيل في أعمارهم،

نمنحهم شرعية الغياب الجماعي عن الواجب.

ليس كل مقاومة سلاحًا.

أحيانًا، يكفي أن تقول الحقيقة،

أن تكتبها،

أن تفضح الخلل،

أن ترفض أن تكون جزءًا من الصمت.

فحتى السكوت حين يتكرر،

يصبح موقفًا...

وموقفك قد يُنقذ، أو يُدمّر.

هل نسينا أن أول كلمة في الوحي كانت "اقرأ"؟

أن أول رسالة للإنسان كانت

أن لا يسكت، أن يعرف، أن يواجه؟

هل تناسينا أن المجتمعات لا تنهض بالصمت،

بل بالأسئلة،

وبالاعتراض،

وبالتصحيح؟

إن من يصمت اليوم على فسادٍ صغير،

سيضطر غدًا لأن يُصمت على كارثة.

وكل باب لا نطرقه اليوم،

سيُغلق غدًا في وجه أبنائنا.

لذلك...

حين تسكت خوفًا،

حين تُنكر داخلك وتُجامل خارجيًا،

حين تعرف الحقيقة وتُخبئها،

فأنت لست بريئًا.

لست مجرمًا...

لكنك في الجهة الخطأ من المعركة.

الصمت في بعض المواقف،

فضيلة...

وفي بعضها الآخر، خيانة.

وحين يصبح الوطن في مهب التهالك،

وتُختطف مؤسساته على مرأى العيون،

فالصمت ليس موقفًا حياديًا،

بل إعلان انسحاب من معركة الكرامة.

لا تُبرّر سكوتك بالحكمة،

ولا تبرّر خوفك بالحذر.

فحين ترى الفساد وتُسكت،

فأنت تمنحه شرعية.

وحين لا تُدافع عن وطنك،

فلا تنتظر أن يدافع عنك.

ربما لا نملك سلطة،

لكن نملك صوتًا.

ربما لا نحمل منصبًا،

لكن نحمل قلوبًا تعرف الفرق بين الخضوع والمروءة.

والمروءة...

أن تقول: "كفى"،

وأن تزرع في من حولك بذرة الرفض،

ولو كنت وحدك.

لأن التاريخ، في نهاية المطاف،

لا يذكر من صمت...

بل من تكلّم.

الصمت أمام الظلم ليس مجرد غياب للكلام،

بل هو إذنٌ غير مباشرٍ

لمن يعيثون في الأرض فسادًا

أن يستمروا في جرائمهم.

في مديريتنا الضليعة، حيث

تموج الأمواج بهدوء ظاهري، تختبئ

عواصف من الألم والمعاناة

التي تخنق الجميع بصمت قاتل.

ذلك الصمت الذي لا يصدقه العقل،

ولا يرضاه القلب، هو الذي يمدد أيدي الفساد،

ويغلق أبواب الأمل أمام أبناء هذا الوطن.

حين نصمت، فإننا نسمح للقوة أن تزداد قوة،

ونترك الذين يتلاعبون بمصيرنا بلا رادع.

الصمت هنا لا يعني مجرد غياب الصوت،

بل هو فعل يشارك في بناء جدران من الظلم والخذلان

تحيط بنا من كل جانب.

وهذا الصمت هو خيانة للعشرة والكرامة،

وللأجيال القادمة التي تستحق أن تعيش في وطن يحترم حقوقه، ويقدر مواطنيه.

لكن هل يدرك الجميع حجم هذه الخيانة؟

هل يفهمون أن الصمت يشبه إعطاء الضوء الأخضر

لمن يستغلون السلطة،

وأنه مساهمة غير مباشرة في استمرار المآسي؟

نحن لا نطالب هنا بمقاومة عنيفة أو فوضى،

بل ندعو إلى صوت واعٍ، هادف، ومنظم؛
صوت يحمل في طياته الأمل والتغيير،

صوت يرفض الظلم بكلمات واضحة وأفعال سلمية.

إنّ التغيير لا يأتي بالعنف، ولا بالصراخ العشوائي،

بل يأتي حينما يتحد الناس على كلمة واحدة،

ويطلبون حقوقهم بأساليب حضارية ومدروسة.

حينها، يصبح الصوت قوياً، لا يستطيع أحد تجاهله،

ويُرغم كل مسؤول مهمل على الوقوف أمام ضميره،

ليحاسب على تقصيره وإهماله.

الصمت هنا هو خطرٌ يهدد مجتمعنا،

لأنه يجعلنا نتقوقع على أنفسنا،

وينسينا أننا نستحق حياة أفضل.

حين يصبح الصمت خيانة، يكون واجبنا

أن نكسر هذا الصمت، ونرفع أصواتنا للحق والعدل،

لكي نستعيد كرامتنا ونبني مستقبلًا يليق بأبنائنا.

لقد آن الأوان أن نقف جميعًا، شبابًا

وشيوخًا، ورجالاً،

متضامنين على قلب واحد،

لنقول لا للفساد، لا للإهمال، لا للصمت الذي يقتل أحلامنا.

لن نسمح بعد اليوم بأن تكون مديريتنا

مسرحًا للخذلان، ولن نبقى مكتوفي الأيدي

بينما تتهاوى أحلامنا واحدة تلو الأخرى.

الصمت في وجه الظلم ليس خيارًا،

بل هو خيانة، ويجب أن نتحمل مسؤوليتنا

في قول الحقيقة والمطالبة بالحقوق.

لن يكون طريقنا سهلاً،

ولن تكون معركتنا بلا عقبات، لكن

العزيمة والإصرار هما سلاحنا، والوعي طريقنا إلى النصر.

لنعلم جميعًا أن صوت الواحد منا

مهما كان ضعيفًا،

إذا اجتمع مع صوت الآخر، يتحول إلى موجةٍ

لا يمكن إيقافها.

فلنكن هذه الموجة، التي تكسر حاجز الصمت،

وتفتح الأبواب المغلقة، وتعيد الأمل إلى قلوبنا،

وتصنع من الضليعة مكانًا يستحق أن نسميه وطنًا.

تخيل معي مشهدًا بسيطًا من واقع

مديريتنا الضليعة، حيث تجلس سيدة في

منتصف العمر، امرأة كافحت طوال حياتها لتربية

أبنائها في ظروف صعبة.

كانت تحلم بأن يحصل أولادها على

تعليم جيد، وأن تلتقط لهم فرصًا تفتح لهم أبواب الحياة.

لكن اليوم، تقف عاجزة أمام أبواب المدرسة

التي تكاد تسقط جدرانها، تنظر إلى

الصفوف الخالية من المعلمين، وتسمع همسات
أبنائها عن صعوبة التعلم، فتغرق في صمت
مرير.

صمتها ليس خيارًا، بل قسوة الواقع.

وهذا الصمت، يا صديقي، هو الذي يضاعف
ألمها

وألم آلاف الأسر مثلها.

صمت المجتمع، صمت المسؤولين، صمت
الإعلام،

صمت كل من يملك القدرة على التغيير

ولكنه يختار أن يغمض عينيه.

هذا الصمت هو السبب في استمرار معاناة
الناس،

في تدهور الخدمات، في انتشار الفساد.

وإليك قصة أخرى،

لشاب شابّ ينتمي إلى هذه المديرية.

حلمه أن يصبح طبيبًا ليعيد الروح إلى ضليعتنا،

التي تفتقر لأبسط الخدمات الصحية.

لكنه بعد أن أنهى دراسته، وجد أبواب الوظائف

مغلقة، ووسائط المحسوبية تحكم كل شيء.

حاول أن يصرخ، حاول أن يرفع صوته، لكنه

وجد نفسه وحيدًا، صامدًا في وجه جبروت السلطة

التي تغض الطرف عن حقوقه.

صمته اليوم لا يعني رضاه، بل هو معاناة داخلية

تكبر يومًا بعد يوم.

هذه القصص هي الحقيقة التي

نعيشها، ولا يمكننا السكوت عنها.

فحين يصبح الصمت خيانة، تصبح مسؤولية

كل فرد منا أن يرفع صوته، أن ينضم إلى الصفوف

التي تطالب بحقوقها بطرق سلمية ومنظمة.

ليس لنا أن نسمح لأنفسنا أن نُحرم من حقنا

في حياة كريمة،

لأن الصمت هو الطريق الأسرع إلى الهزيمة.

لكن يجب أن نكون واعين أن الطريق

ليس سهلاً، وأننا قد نواجه من يحاولون

إسكاتنا، لكن بالإصرار والتوحد، بالإيمان

بحقنا وبتحمل المسؤولية، نستطيع أن نصنع الفرق.

لا تنتظر أن يأتي الفرج من الخارج، فكل

تغيير يبدأ من داخلك ومن داخلي.

وأنت القارئ، من هذا الكتاب، أين أنت من هذه المعركة؟

هل ستظل صامتًا مكتفيًا

بما هوعليه الحال، أم ستقرر أن ترفع صوتك

مع من يؤمنون بأن الضليعة تستحق أكثر،

وأن أبناءها يستحقون حياة أفضل؟

إنه اختيارك الآن، فالصمت خيانة، والكلام حق.

فلتكن أنت الحامل للحق، وصوت الضليعة،

ومصدر الأمل لجيل جديد يرفض

أن تكون حياته محاطة بالظلم.

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# "ظمأ على هامش الخريطة"

حين يتحوّل الماء إلى أمنية، وتتحوّل الحياة إلى صراعٍ مع الصمت.

في الضليعة، لا تبدأ الحكاية من بيتٍ تهدّم، ولا من مدرسةٍ أُغلقت... بل من قطرة ماءٍ تأخرت.

هناك، في تلك المديرية المنسيّة على هامش الوطن،

تسير الحياة بعكس منطق الحياة.

الناس لا يركضون وراء أحلامهم، بل يركضون خلف

صهريجٍ عابر أو خزانٍ مثقوب.

الماء ليس متوفرًا، بل مزاجيّ، إن حضر حضر بثمنٍ يثقل الكاهل، وإن غاب غاب بصمتٍ لا يُفسَّر.

في الضليعة، ليس من حق الطفل

أن يفتح الحنفية فيشرب، بل عليه أن يتعلّم مبكرًا كيف ينتظر.

ليس من حق الأم أن تطبخ متى شاءت، بل متى سمحت لها القطرة الناجية أن تغلي القدر.

هنا لا تنقطع المياه، بل تنقطع الوجوه عن ملامحها،

حين يتجاوز الصبر حدّه، ويغدو

الانتظار شكلاً من أشكال العذاب البطيء.

هذا العطش...

ليس مجرد نقص في خدمة، بل نزيف في الكرامة.

هو وجعٌ لا يُرى، لكنه يسكن تفاصيل كل بيت.

هو إحساس داخلي بأن هذه المديرية لا تُرى،

لا تُحسب، وكأنها لا تنتمي لهذا الوطن.

أين الخلل؟

أفي الأرض التي لم تثمر؟ أم في السحاب الذي جفّ؟

أم في مسؤولٍ لم يَعد يسمع غير صدى صمته؟

مدير المديرية...

الذي بيده المفاتيح الأولى للنداء،

كيف لم يطرق باب المشروع المائي بصدق

كيف تهاون في أهم ما يُبقي الناس على قيد الحياة؟

كيف غابت عنه الضليعة،

وهي تختنق تحت شمسٍ لا تعرف الرحمة؟

لا نريد ترفًا... نريد ماء.

لا نريد مشاريع ضخمة... نريد أن لا نُذلّ في سبيل شربة.

نريد أن نشعر، ولو لمرة واحدة، أن أحدًا ما يهتمّ حقًا.

في الضليعة...

العطش ليس حالة مؤقتة، بل قدرٌ مزمن.

في الضليعة...

الناس لا يشتكون، لأنهم تعوّدوا على وجعٍ لا يشتكي.

وفي كل صمتٍ من هذه الأرض...

صوت يقول:

"هنا يعيش بشر... عطشى للقطرة، وللعدالة، وللحياة."

عطش الضليعة...

حين تجف الحياة

ليس العطش مجرد انقطاع في أنابيب المياه

بل انقطاع في شريان الحياة.

في الضليعة، لا يبدأ الصيف بحرارته،

بل بنداءات الاستغاثة...

لا تنضج الحياة إلا وتيبست معها قلوب الأمهات،

وذبلت الأمنيات في عيون الأطفال.

هذا العطش لا يَروي حديثه سوى الجفاف،

ولا يُنطق وجعه إلا الصمت.

إن الضليعة – بقراها المترامية – لا تبحث عن الترف،

بل عن أساسيات الحياة.

في القرى ، تقف النساء ساعات تحت لهيب الشمس

تنتظرن جرعة ماء واحدة.

أما الآبار، فإما نضبت، أو ما عادت قادرة

على حمل ما تبقّى من امل وهذا إن وجدت.

المديرية التي تختزن في بطنها الجبال والوديان، لم تستطع

أن تختزن مشروعًا واحدًا يضع حدًا لهذا العذاب المتكرر.

كل عام،

تعود الأزمة، وتتكرر الشكوى، ويتكرّر الصمت...

كأن الزمن هنا يصرّ أن يكون حلقة من الألم بلا نهاية.

أين الخطط؟ أين المسؤولون؟

لماذا لم يكن لمدير المديرية، ولا للمجالس المحلية،

موقف جاد تجاه هذا الملف؟

أليس من العار أن نظل ننتظر السماء،

ونحن نملك في أرضنا ما يكفينا لو استُثمر بصدق؟

لكن، حين يغيب الضمير، يذبل

حتى ما في باطن الأرض.

هذه ليست كلمات شجن، بل صرخة نابعة

من قلوب أنهكها الظمأ،

نداء من ناس، لا يريدون كثيرًا...

فقط كوب ماء لا يمر عبر ألف عرق جبين.

ماءٌ غائب... وحياةٌ تنتظر

في الضليعة، لا تغيب الشمس فقط عن السماء عند المغيب،

بل يغيب الماء عن بيوتٍ تعب أهلها من الانتظار.

لا تُسمع خرير الماء،

ولا تتناثر قطرات المطر على أسطح القرى،

بل يسكن الصمت في أفواه الأطفال الذين سألوا: "متى يأتينا الماء؟"

لكن الجواب ظلّ غائبًا،

تمامًا كغيابه عن أرضٍ تقف عطشى في وجه الحياة.

لم يكن الماء في الضليعة مجرّد حاجةٍ بيولوجية

أو مطلب يومي، بل أصبح هاجسًا جماعيًا،

يُثقل كاهل كل أسرة، ويؤرق نوم كل أم تخشى على

أطفالها من حرارة الصيف وقسوة الجفاف.

الناس هنا لا يعيشون رفاهية التفكير في نظافة الخزانات

أو برودة الماء، بل يحلمون فقط بقطرة.

قطرةٍ واحدة تكفي لغسل وجوههم من غبار اليأس.

تمر الأيام، وتتشقق الأرواح كما تشققت الأرض.

تمر السنوات...

ويتجدد نفس السؤال:

"لماذا؟"

لماذا هذه القسوة؟

لماذا نُنسى كل مرة؟

لماذا لا تُستثمر السدود؟

لماذا لا تُفتح عيون الآبار؟

ولماذا يغيب صوت المطالبة والعدالة

من أفواه من يُفترض أن يكونوا صوت الشعب واحتياجاته؟

ما بين سدٍ صامت، وسلطةٍ صامتة، ومعاناةٍ

لا تصمت، يبقى المواطن هنا معلّقًا في برزخ الظمأ... ل

ا ماء يُرويه، ولا مسؤول يُنقذه.

أبناء القرى يسيرون على أقدامهم ساعات بحثًا عن الماء،

يقطعون المسافات حُفاةً في طرقٍ مليئةٍ بالشوك

والخذلان، وكل ما في قلوبهم أمنية:

أن يستقر خزان الماء في فناء بيتهم،

حتى لو لأيام معدودة.

النساء في الضليعة لسن فقط أمهات وزوجات،

بل حاملات الهمّ على رؤوسهن، يعبئن الجالونات

فوق رؤوسهن كما يعبئن الصبر في قلوبهن.

والرجال، لم يعودوا يشتكون كثيرًا، ليس لأن الألم انتهى،

بل لأن التعب من الشكوى صار أقسى من العطش.

والأطفال؟

أي حلم يمكن أن يكبر في أرضٍ لا تعرف الطفولة فيها معنى الماء؟

أي زهرة يمكن أن تتفتح، وماؤها يُباع بالمال،

ويُقطع بالسياسة، ويُنسى بالإهمال؟

في الضليعة، ليست المأساة في ندرة المياه فحسب،

بل في غياب الخطة، والموقف، والقرار.

متى سيتحرّك أحد؟

متى يكون لهذه الأرض صوت يُسمع؟

متى يتبدل العطش إلى ريّ، والتجاهل إلى إنصاف؟

كل يوم يمضي بلا حل، هو يوم جديد من الظلم.

وكل قطرة يُحرم منها طفلٌ هنا،

هي إدانة معلقة في عنق مسؤولٍ هناك.

فإما أن تعود الحياة... أو تبقى الضليعة عنوانًا لحياةٍ تنتظر.

وحين تنتظر الحياة الماء، فإنها لا تعيش. بل تحتضر بصمت.

تحت شمسٍ واحدة...

لكن العطش ليس عادلاً

في الضليعة، نحن لا نطلب المستحيل،

نحن فقط نطلب أن نعيش كما يعيش الآخرون.

ننظر حولنا فنرى الحياة تجري في عروق المدن والقرى المجاورة، نسمع صوت الماء ينساب من صنابيرهم

كما تنساب أنفاسهم دون كُلفة.

نراهم يشكون من ضعف الضخّ، ونحن لا نملك أصلًا شيئًا لنضعف فيه.

إنها مفارقة مرة...

كيف أن الشمس تُشرق علينا جميعًا، ولكن الماء لا يعرف طريقه إلينا.

كم من امرأةٍ هنا سارت عشرات الأمتار لتملأ دلوًا من بئرٍ

قد لا يكون آمنًا؟

كم من رجلٍ مسنّ وقف تحت حرارة الشمس ينتظر صهريجًا تأخر، أو لم يأتِ أصلًا؟

وكم من طفلٍ اعتاد أن يسقي أخاه الصغير من زجاجةٍ

بلا طعم، لأن حنفية البيت بلا حياة؟

هذه ليست حكاية نادرة.

هذا هو الواقع.

في الضليعة، حين تريد أن تستحم، فإنك تقف أمام المرآة

وتفكّر: هل يليق بي أن أستخدم ماءً قد نحتاجه للشرب؟

وحين تفكر أن تنظف بيتك، فإنك تعتذر للغبار وتقول له:

"ابقَ، فما أملك لا يكفي لمواجهتك."

الألم ليس فقط في العطش، بل في الشعور

الدائم بأننا لسنا أولوية في نظر أحد.

المسؤول الذي لا يعرف موقعنا على الخريطة،

لا يعرف أننا نحمل في أجسادنا جفاف سنين.

القرارات التي تُرسل إلى مكاتب المديريات،

لا تعبر إلينا، كأننا لا نُدرج تحت كلمة "سكان".

هنا المفارقة...

المطر، حين يهطل، لا يفرق بين الضليعة وغيرها.

لكن اليد التي تخطط، التي توزّع المشاريع،

التي تفتح الأنابيب، تُحسن التفرقة جيدًا.

ليست القسوة من السماء، بل من الأرض...

من البشر الذين يملكون القرار ويرفضون

أن يسمعوا صراخ العطش في صدورنا.

لسنا نطلب نهراً، ولا نريد بحيرة.

نحن فقط نريد ما يكفي لكي لا نعيش في ذلّ الانتظار،

لكي لا يكون الماء حُلماً في منام طفل، ولا سبباً لبكاء

أمٍ لا تستطيع أن تُغسل جرح ولدها.

نريد أن نعيش بكرامة، أن نُعامل كأننا نعيش

تحت ذات الدولة، تحت ذات الهمّ،

تحت ذات الواجب.

نعم، تحت شمسٍ واحدة...

لكن العطش، للأسف، ليس عادلاً.

والألم، حين يتكرّر كل يوم، لا يعود فقط وجعًا...

بل يتحول إلى صرخة لا يسمعها أحد.

وقديماً قال أحد الحكماء:

"العدالة التي لا تشمل الضعفاء... ليست عدالة، بل امتيازٌ مقنّع."

فأين العدل في أن تتقاسم الأرض الشمس...

ولا تتقاسم الماء؟

أين الرحمة في أن تُترك الضليعة وجاراتها في طوابير الماء لعقود، بلا خجل، بلا حلّ، بلا حتى اعترافٍ حقيقي بالمأساة؟

الجواب عند من يملك القرار.

لكن السؤال – المؤلم – يبقى معلقًا في حلوقنا كل صباح:

هل سنروي أطفالنا اليوم؟

أم أن تحت هذه الشمس... سيستمرّ العطش في الانتصار؟

رحلة الماء... من النداء إلى التلاشي

أحيانًا يصرخ المواطن فلا يسمعه أحد، وأحيانًا

يتكلم ولكن لا أحد يُترجم صوته إلى ورقة مطلب أو مشروع يُنفّذ.

صرخاتنا كل عام تتكرر، واحتياجاتنا تتضاعف،

ومع ذلك... تظل الأبواب مغلقة، والأذان صمّاء،

والوعود مؤجلة إلى أجلٍ لا يأتي.

لو أن معاناة الضليعة كُتبت على وجوه الناس،

لرأيت في كل تجاعيدها خريطة للعطش، وفي كل نظرة أم تُعاني

من جلب الماء قصة تستحق أن تُروى للعالم كله.

كيف يُعقل أن نعيش في زمن التطور، ونُحاصر بالعجز

عن أبسط مقومات البقاء؟

كيف يُمكن لقطرة ماء أن تكون حلماً نلهث خلفه؟

في الضليعة، لا تبدأ المعاناة من العطش، بل تبدأ من التجاهل.

من تلك اللحظة التي صرخ فيها أول طفل من قريتنا:

"أمي أنا عطشان"... ولم تجد الأم سوى إناء فارغ ونظرة عاجزة.

المشكلة لم تعد في نقص الماء، بل في نقص الإرادة.

نقص الاهتمام.

نقص الإنصاف في توزيع المشاريع.

نقص الصوت الحقيقي الذي يطالب بحقوقنا دون تملّق أو مواربة.

نُراسل ونكتب، ونُنادِي ونناشِد، ولكن

الملف نفسه يعود إلى الدرج ذاته، والغبار نفسه

يتراكم على أحلامنا.

كم مشروع أُعلن؟ وكم خُطّة كُشِف عنها؟

لكن لا شيء نراه سوى الإهمال يتكرّر

بلغةٍ أكثر برودًا من سابقتها.

هل رأيتَ يوماً قرية تُسافر النساء فيها كل فجر للبحث عن ماء؟

هل جربتَ أن تعيش يومًا بغير ماء، في شمس الضليعة،

في وعورة طرقها، في عجز طفل،

ودمعة مسنّ، وانكسار أمّ؟

لم نعد نطالب بأحلام ضخمة، بل بأبسط الحقوق

التي كفلها الله قبل القانون.

الماء... فقط الماء.

ذلك الشيء الذي أصبح معجزة في زمن "المشاريع الوهمية" والتقارير التي لا تروي ظمأ.

الماء لا يُطلب بالمؤتمرات ولا يُوفَّر بالخطابات.

الماء لا يأتي إذا لم يكن هناك مَن يحمله

على عاتقه بصدق، لا بمنصب.

الماء لا يتحقق ...

إن لم يكن في قلب المسؤول شيء من شعور الناس.

نحن لسنا أقليّة مهملة، بل أبناء أرض لها الحق

أن تشرب، مثل غيرها.

نحن لسنا صدىً باهتًا في هوامش البلاد،

بل حكاية صاخبة يختبئ خلفها وجعٌ عظيم.

نداؤنا لم يَخفت، لكنه تلاشى في زحام المصالح.

صرختنا لم تسكت، لكنها اختنقت بين ملفات تُؤجَّل، وأسماء تُبدَّل، ونيات لا تُكمل.

فهل من عودة؟

هل من سمع؟

هل من روح عادلة ترى العطش قضية لا تحتمل التأجيل؟

إن رحلة الماء لا يجب أن تنتهي بالتلاشي...

بل يجب أن تبدأ من جديد.

من يدفع الثمن؟

الثمن هنا لا يُسجَّل في دفاتر الحكومة،

ولا يُدرج ضمن ميزانيات المشاريع، ولا يُقيَّد

كملاحظة في تقارير اللجان.

الثمن يُدفع بصمتٍ في كل بيتٍ من بيوت الضليعة،

ويُخصم من نبضات القلوب التي أتعبها العطش،

ومن أكتاف النساء التي انحنت من حمل الجالونات

الثقيلة في عزّ الظهيرة.

من يدفع الثمن؟

طفل كان يمكن أن يقضي يومه بين دفاتر المدرسة،

لكنه خرج مع أمه يبحث عن الماء، فعاد منهكًا قبل أن يكتب حرفًا.

امرأة أُنهكت من تكرار الطريق ذاته عشر مرات في اليوم، تجر خلفها دلوًا لا يكفي احتياجات يومٍ واحد،

لكنها تُجبر نفسها على التحمل لأنه لا بديل.

الثمن؟

هو الحُلم الذي تراجع.

هو الزرع الذي ذبل.

هو الجنين الذي فقد الحياة داخل بطن أمّ عطشى.

هو التعب الذي سكن عظام كل بيتٍ في الضليعة.

الثمن ليس مجرد صورة تلتقطها عدسة صحفي أو تقرير يكتبه موظف ثم يُحفظ في درج مُهمل...

الثمن هو صوت الجدّة وهي تقول بصوت مكسور:

"قديماً كانت الحياة أسهل، لأننا كنّا نعرف كيف نُقسِّم الماء، واليوم الماء نفسه مفقود."

من يدفع الثمن؟

هو الشاب الذي فقد طموحه في مشروع زراعي، لأن الأرض

لا تستجيب دون ماء.

هو التلميذ الذي تأخَّر عن طابور المدرسة لأنه قضى الصباح في انتظار الصهريج.

هي الفتاة التي تركت حلمها في الجامعة لأنها لا تستطيع مغادرة بيتٍ يحتاجها يوميًا في رحلة الماء.

هو العُرس الذي تأجل، والمزرعة التي أُقفلت، والبيوت التي تحوّلت إلى محطات انتظار للماء بدل أن تكون موطنًا للراحة.

وفي كل مرة...

تُسأل الضليعة عن مشكلتها، يكون الجواب هو ذاته: الماء.

وفي كل مرة...

يُوعَد الناس بحلول، لكنها حلول موسمية

كالمطر، تأتي مرة وتغيب أعوامًا.

من يدفع الثمن؟

كل من عاش في هذه المديرية، كل من صرخ ولم يسمعه أحد، كل من كتب ولم يُقرأ، وكل من بكى بصمت ولم يواسِه سوى الله.

والمؤلم في هذا كله... أن الثمن لا يُدفع مرّة واحدة وينتهي، بل يُدفع كل يوم، في كل بيت، ومع كل شروقٍ جديد.

فمن ينقذ الضليعة قبل أن ينفد ما تبقّى من قدرتها على الدفع؟

ومن يسمع صدى الأسئلة المتكررة التي ما زالت بلا أجوبة:

"متى سيأتينا الماء... دون أن يكون الثمن إنسانًا؟"

ومدير المديرية... أين موقعه من هذا؟

ليس المطلوب من مدير المديرية أن يحفر بئرًا بيده،

ولا أن يُجرّ صهاريج الماء بنفسه إلى الأحياء...

لكنّ المطلوب منه أن يكون أول من يشعر

بالعطش، قبل أن يشعر به المواطن،

وأن يتحسّس همّ الناس كما يتحسّس الإنسان

حرارة جسده حين يمرض.

إن كان أهل الضليعة يئنّون من العطش،

فمن باب أولى أن يعلو صوت مديرها في المحافل،

في الاجتماعات، في المراسلات الرسمية،

في وسائل الإعلام، بل حتى في حديثه العابر مع أي مسؤول

يمر من أمامه.

فهو ـ قبل أن يكون موظفًا ـ مواطنٌ يعيش في

ذات الأرض، ويعرف الطرق المقطوعة

التي تسلكها النساء.

الصمت هنا ليس حيادًا... بل خيانة.

والتأجيل ليس إجراءً روتينيًا...

بل مشاركة صريحة في الألم.

هل يعقل أن تمر السنوات والمياه تتدفق خلف التلال،

والضليعة تقف أمامها كالمتسول الذي يراها ولا يلمسها؟

هل يُعقل أن يُحرم المواطن من حقه الطبيعي

في الحياة، والمشكلة في أصلها ليست في عدم

وجود الماء، بل في غياب القرار؟

لو أن مدير المديرية رفع صوته في وجه هذا الإهمال،

لو أنه حمل الملف وجعل منه قضية وجود لا رفاهية،

لو أنه كتب بصدق، وصرخ بجرأة، وطالب بإخلاص، لما بقيت الضليعة عالقة في هذا التيه.

نحن لا نطلب من المسؤول المعجزات،

بل نطلب منه أن يشعر، أن يتحرّك،

أن يُزعج من هم فوقه حتى يُسمع صوت من تحته.

الناس لم يختاروه ليقف على الحياد، ولم يضعوه في هذا المنصب ليجلس على الكرسي دون أن ينظر من النافذة

إلى القرى التي تموت عطشًا.

كل ساعة تمر دون ضغط، دون خطاب،

دون مذكرة رسمية، هي ساعة تسقط من أعمار السكان،

وتُضاف إلى رصيد الإهمال.

لو أنه اجتمع يومًا مع مسؤول وطالبه بخط

ربط عاجل للضليعة، لكان قد فتح ثغرة في جدار العطش.

لو أنه نزل إلى الميدان، رأى معاناة الناس بعينيه،

لمشى عائدًا وهو يحمل خريطة الألم بين خطواته.

المناصب لا تكتمل بالشهادات، بل بالمواقف.

والقيادة لا تُثبتها التعيينات،

بل تُبرهنها المواقف في الشدائد.

ومدير المديرية...

إن لم يكن أول من يحمل همّ أهله، فمن يحمل إذًا؟

وإن لم يكن صاحب الكلمة الأولى، فلماذا أُعطي المنصب؟

وإن لم تكن الضليعة في صدارة أولوياته،

فهل سيبقى اسمه في ذاكرتهم إلا كأحد الراحلين

الذين مروا دون أثر؟

أهل الضليعة لا يطلبون مستحيلًا،

يطلبون فقط أن يكون مديرهم... حاضرًا، غاضبًا للعطش،

محاميًا لقضيتهم، لا شاهدًا صامتًا على موتهم البطيء.

فحين تموت الأرض عطشًا، لا يُغفر للقيادة أن تظل صامتة...

لأن الصمت هنا، موقف.

نقولها بلغة الوجع الهادئ:

لسنا ضد أحد...

ولسنا نصرخ عبثًا...

نحن فقط نطالب بأن نحيا، كما يحق لأي إنسانٍ أن يحيا.

في هذه الكلمات المختصرة يكمن

عمق الجرح وصدق النضال.

ليس في قلوبنا عداوة أو كراهية تجاه أحد،

بل في نفوسنا رغبة صادقة وبسيطة:

أن نحظى بحق الحياة الكريمة، أن نستنشق الهواء بطمأنينة،

وأن نرتوي من الماء الذي جعله الله نعمة لكل البشر.

لم نأتي لنطالب بمزايا أو امتيازات استثنائية،

بل فقط أن يُنظر إلينا كأبناء

وطن يستحقون أن يعيشوا بكرامة.

نحن نكتب بقلوب مثقلة، وأرواح

محملة بأثقال الانتظار الطويل.

اصواتنا ليست صراخًا في الفراغ، بل هي

دعوة للحياة، رسالة لحكومةٍ لم تُعرْ لنا اهتمامًا،

نداء لأصحاب القرار ليروا ما لا نراه،
ويسمعوا ما لا يُقال.

لم نكن يوماً خصومًا لأحد،

بل كنا ضحايا نظام أهملنا، تركنا نموت ببطء
تحت

وطأة الإهمال والفساد، تحت صمت المسؤولين
وعجزهم.

كل يوم يمرّ ونحن نعيش في هذه المأساة،

هو يوم يضاف إلى تاريخنا المؤلم، يوم يحفر
في ذاكرتنا

علاماتٍ من الحزن والتعب.

لكن رغم كل شيء، لم نفقد الأمل.

الأمل الذي يلدّد صداه في قلوبنا هو أن الحياة

التي نطالب بها ليست حلمًا بعيد المنال،

بل حقٌ مقدس لا يجوز سلبه.

حين نطلب الماء والدواء والتعليم والخدمات،

فإننا نطالب بالحق في أن نكون بشرًا، لا مجرد أرقام

تُسجَّل في جداول إحصائية.

وفي صمتنا العميق، يكمن صمودنا.

نصمت ليس لأننا نستسلم، بل لأننا نختار أن نحيا

بأمل، رغم كل الظروف الصعبة، رغم كل الألم الذي يخنق أرواحنا.

هذا الوجع الهادئ هو شهادة على معاناتنا،

لكنّه أيضًا صرخة روح تبحث عن الحق والعدل.

نحن لا نرمي اللوم على الفرد أو الفئة فقط...

بل نؤمن أن المأساة التي نعيشها هي مسؤولية جماعية،

تبدأ من الداخل بمن يملك زمام الأمور، وتمتد

إلى كل من غاب عن دوره.

لكن هذا لا يعني أننا سنقف مكتوفي الأيدي.

سنبقى نطالب، نُناشد، نكتب ونحكي

قصتنا، حتى يسمعنا العالم، حتى يلامس صوتنا

قلوب الذين يستطيعون التغيير.

في النهاية، نقف هنا لنقول:

نحن بشر، نستحق الحياة، نستنشق نفس الهواء،

نشرب نفس الماء، ونحلم بمستقبلٍ أفضل.

ليس ثمنًا باهظًا أن نعيش بكرامة،

وليس خطيئة أن نطلب حقوقنا.

وهذا هو الوجع الهادئ الذي

نحمله معنا،

وجعٌ لا يصرخ، لكنه لا يهدأ،

صوتٌ داخلي يردد:

"دعونا نعيش... فقط نعيش."

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# حين ينقطع الصوت... وتختنق الضليعة بالوحدة"

هنا...

الأمر الذي أنهكنا فعلًا.

هنا، في زاوية أخرى من وجع الضليعة،

لا نتحدث عن تعب الجسد فقط، بل عن انقطاع الصوت...

عن عزلة قسرية فُرضت علينا.

كيف تعيش في زمن العالم فيه متصل ببعضه،

وأنت مقطوع عنه كليًا؟

في الضليعة، لا يعني فقدان الشبكة فقدان الرفاهية،

بل يعني أن تموت الأخبار في صدورنا قبل أن تصل.

هنا، تبدأ الحكاية من حيث تنتهي وسائل الاتصال...

وتبدأ الوحدة الحقيقية.

في الضليعة، لا تنقطع الشبكة فقط...

بل ينقطع معها الشعور بأنك جزء من هذا العالم.

في زمانٍ أصبح فيه الاتصال جزءًا

من حياة الناس، لا تزال الضليعة تعيش على هامش

العصر، كأنها بقعة منسية خارج خارطة التكنولوجيا.

ليس الأمر رفاهية هنا، ولا حديثًا عن سرعات

الإنترنت أو جودة البث المباشر، بل عن أبسط حقوق الإنسان

في أن يشعر أنه موجود، أنه يستطيع أن يبعث

رسالة اطمئنان لابنه، أو يتلقى مكالمة من قريب في الغربة،

أو يطلب سيارة إسعاف عند الحاجة.

الضليعة تعاني من صمتٍ قاسٍ لا يسمعه أحد.

هنا...

حين ترفع الهاتف لتطلب شخصًا عزيزًا، غالبًا

ما تسمع صوت الفراغ... لا شبكة، لا تغطية، لا استجابة.

وحين يضيع أحد الأبناء في طريقٍ بعيد،

لا يصل صوته لأهله.

كأن الضليعة معزولة عن الزمن.

أبناء الضليعة يعرفون شعور الانقطاع أكثر من غيرهم.

يعرفون ماذا يعني أن تحاول الاتصال بأحدهم فلا تجد شبكة.

يعرفون ماذا يعني أن تحاول الدخول إلى الإنترنت

لتستكمل إجراء حكومي، فتجد نفسك عالقًا في دوامة

"جاري التحميل" التي لا تنتهي.

الضليعة لا تملك خدمة اتصالات مستقرة.

هناك قرى لا تغطّيها الشبكة أصلًا، وإن غطّتها

أحيانًا، فإنها تكون خدمة هشّة، تتلاشى مع أقل ريح،

أو أقل غيمة في السماء.

في زمن أصبح العالم فيه قرية صغيرة بفضل الاتصالات،

لا تزال الضليعة بعيدة عن هذه القرية.

أصبحت المدينة سجينة صمتها...

لا يستطيع أهلها الوصول إلى الخدمات الإلكترونية

التي باتت جزءًا من الحياة اليومية في كل مكان.

التسجيل في الجامعات، المعاملات الحكومية،

التواصل مع الأهل، التعليم عن بُعد...

كلها أمور تبدو صعبة أو مستحيلة هنا.

تخيل أن تكون في مكان، لا تستطيع فيه حتى الاطمئنان

على مريض في الخارج.

تخيل أن تضطر للذهاب سيرًا أو بالسيارة إلى قمة جبل،

أو إلى بقعة محددة في أطراف القرية

فقط لتجد إشارة اتصال ضعيفة تلتقطها من بعيد...

رسالة واحدة تحتاج إلى سفر.

الكثير من أبناء الضليعة ممن يعملون أو يدرسون

في مدن أخرى، لا يستطيعون التواصل مع أهلهم بسهولة.

والكثير من الآباء ينتظرون أبناءهم على أحرّ من الجمر،

لكن هواتفهم تظل صامتة، لأن الشبكة مفقودة.

في الضليعة، الهاتف المحمول قطعة صامتة من الحديد...

موجودة في الجيب، لكنها لا تخدمك حين تحتاج إليها.

لا أحد هنا يطلب المستحيل.

لا أحد يريد تكنولوجيا خارقة.

الناس فقط يريدون أن يسمعوا صوت أحبّتهم، أن يستطيعوا

طلب خدمة طارئة، أن يكونوا جزءًا من العالم الذي

تغيّر بينما هم بقوا عالقين في العزلة.

إن الحديث عن تحسين الاتصالات في الضليعة

ليس حديثًا عن رفاهية أو ترف.

إنه حديث عن حياة، عن سلامة، عن تواصل، عن إحساس بالوجود.

في زمن الحروب، تكون الاتصالات أهم من السلاح.

وفي زمن السلام، تكون الاتصالات جسرًا

يربط الإنسان بالإنسان.

الضليعة تريد فقط أن تُسمع.

تريد أن تصل رسائل أهلها إلى من يحبون،

وأن لا تظلّ مكالماتهم معلّقة في الهواء.

تريد أن تجد الشبكة في بيوتها، في مدارسها،

في مستوصفها الصحي،

في أسواقها، في قراها البعيدة.

لم يطلب أبناء الضليعة شيئًا مستحيلًا.

هم فقط يريدون أن يشعروا أنهم ليسوا

وحدهم في هذا العالم.

"كيف لمدينة أن تتحدث عن أحلامها،

إن كانت لا تجد حتى شبكة لتبعث بها رسالة

صادقة تقول فيها: نحن هنا؟"

في ظل هذا الصمت الذي تخيم به الضليعة،

لا يمكن إغفال من يتحمّل مسؤولية هذا الوجع الصامت.

إن المسألة لا تتعلق فقط بشركات

الاتصالات، بل تبدأ من رأس الإدارة المحلية،

من ذلك الكرسي الذي يجلس عليه من أُوكلت

له شؤون المديرية، وهو مدير المديرية.

حين تكون مسؤولًا عن رقعة جغرافية تعاني،

فأنت لا تملك رفاهية الصمت.

حين يغيب الاتصال عن الناس، فأنت مطالب

بأن تطرق كل باب، أن ترفع الصوت نيابة عنهم،

أن تذهب إلى حيث تُتخذ القرارات لا أن تنتظرها.

لكن ماذا لو اكتفى المسؤول بالمشاهدة؟

ماذا لو اعتاد رؤية أبناء مديريته يصعدون إلى الجبال

ليبحثوا عن شبكة وكأنهم يبحثون عن هواء للتنفس؟

ماذا لو صار الصمت عادة، والإهمال وجهة نظر،

والانتظار أسلوب حياة؟

المدير ليس مجرد لقب في الضليعة...

هو أمل الناس في أن تصل أصواتهم إلى من بيده القرار.

لكن حين يغيب دوره، يصبح الناس أسرى للانتظار،

أسرى لوعدٍ مؤجل، لوضعٍ لم يتغير منذ سنوات.

لقد تحوّلت مشكلة الاتصال إلى مشكلة كرامة.

لم يعد الأمر يتعلق باتصال هاتف فقط،

بل بإحساس الناس أنهم على هامش الاهتمام.

ومسؤول المديرية هو أول من عليه

أن يكسر هذا الحاجز، أن يطالب بحق أهل الضليعة

في أن يكون لهم صوت.

هل طالب مدير المديرية بحل هذه المعضلة كما يجب؟

هل نقل صورة المعاناة كما هي دون تجميل؟

هل جلس مع شركات الاتصالات،

مع الوزارة، مع الجهات العليا،

وقال لهم: "أبناء الضليعة يريدون فقط أن يسمعهم العالم"؟

ربما فعل، وربما لم يفعل بما يكفي...

لكن النتيجة واحدة: لا شبكة، لا اتصال، ولا أحد يشعر

أن هناك من يتحرك فعلًا.

المدير الذي يحمل همّ مدينته، لا ينتظر أن يُطلب

منه التحرك، بل يبادر بنفسه.

ومع كل برميل ماء يصل متأخرًا، ومع كل اتصال

لا يصل، ومع كل مواطن يبحث عن شبكة فلا

يجد، يبقى السؤال معلقًا:

"أين صوت السلطة حين تحتاجها الضليعة؟"

في الضليعة، لا أحد يطلب من المدير

أن يقدّم معجزات، بل أن يتحرك، أن يدافع عن

حق الناس في أبسط صور الحياة.

ختاماً

الضليعة لا تحتمل المزيد من الصمت.

الصمت في قضايا الاتصال يعني المزيد من العزلة،

يعني أن تظل المدينة تسكن في غرفة مغلقة

لا يطرقها أحد.

وكلما صمتت السلطة، ارتفع وجع الضليعة أكثر.

فمن يحمل هذا الوجع؟

ومن يُعيد للضليعة صوتها

في زمن أصبحت فيه الكلمة، والرسالة،

والمكالمة، أساس الحياة؟

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# "أبناء الضليعة بين اليأس والأمل"

في قلب مديرية الضليعة...

بين ضجيج الحياة

وهدير الأيام، تنسج حياة أبنائها قصصًا لا تنتهي

من المعاناة والألم، لكنها تحمل في طياتها

خيوطًا خافتة من الأمل الذي لا يموت.

هنا، في أزقة المدينة المتعبة،

يمضي الناس يومهم وسط واقع مرير يحاصر

أحلامهم، ويشل هممهم، ويجعل من حياتهم

نضالًا متواصلًا بين أروقة اليأس ومحطات الصبر.

الأطفال الذين ينظرون إلى المدارس المتهالكة

بأعين تتوق إلى العلم، يجدون أنفسهم

أمام جدران تتهاوى وأبواب مغلقة لا تسمح

لهم بالولوج إلى عالم المعرفة الذي يحلمون به.

هم لا يعلمون بعد أن الحلم

قد يصبح أحيانًا مجرد كلمة تُقال دون أن يتحقق.

أما الأهالي، فهم يحملون آمالًا كبيرة لأولادهم،

آمالًا لم تجد لها مكانًا بين نقص المعلمين،

وغياب الدعم، وضعف البنية التحتية.

الشباب هنا يعانون من تدهور الخدمات

الصحية والفرص الاقتصادية،

فلا يجدون

العمل اللائق ولا يملكون من الوسائل سوى

الصبر والانتظار.

غياب الدعم الرسمي والإهمال

المستمر من قبل المسؤولين الذين كانوا من المفترض

أن يكونوا سندًا لهم،

جعلهم يعيشون في دوامة من اليأس الموجع.

كل يوم يمر، يحمل في طياته عبء جديد، وحلمًا ينكسر على صخور الواقع المرير.

النساء هنا يتحملن أعباء مضاعفة، بين مسؤوليات

المنزل، وحرمان أبنائهن من أبسط

حقوقهم، يحاولن الصمود وسط مجتمع يعاني من نقص

الخدمات وتدهور البنية الاجتماعية.

قصصهن تروي عن الألم الصامت، عن ليالٍ

بلا نوم، وعن قلوب تنزف من الخذلان والخذل.

أما كبار السن، فهم يشاهدون ما بناه أجدادهم

ينهار أمام أعينهم، فلا يجدون سوى الذكرى الحزينة

وأملٍ خافتٍ يتضاءل كل يوم.

ورغم كل هذه المآسي،

يبقى بريق الأمل في أعينهم.

أملٌ متجذرٌ في وجدانهم، لا يموت، لا ينطفئ.

هو أملٌ بالكرامة، بالعدل، بالعيش بسلام وأمان.

أملٌ يحملهم على الاستمرار

رغم كل العقبات، رغم كل الصمت الذي يحيط بهم،

رغم كل الغياب المؤلم للسلطة الحقيقية التي

يفترض بها أن تحمي حقوقهم.

لكنهم أيضًا يعلمون أن الأمل وحده لا يكفي.

هناك حاجة لصوتٍ يُسمع، لكلمةٍ تُقال، لفعلٍ يُنجز.

الصمت اليوم، كما تعلموا من دروس الألم، هو عدوهم الأول،

هو السجن الذي يقيد حركتهم ويقيّد أحلامهم.

لا بد أن يتحركوا، لا بد أن يُعبّروا، لا بد أن يطالبوا

بحقوقهم بكل الوسائل السلمية المتاحة،

لأن الصمت هنا هو مساهمة في استمرار هذه المعاناة.

في كل شارع، وفي كل بيت، هناك قصة

مأساوية تروي كيف أن أبناء الضليعة

يعيشون تحت وطأة الإهمال والخذلان، وكيف أن صوتهم

مكبوت أمام جدران السلطة الصماء.

لكن في كل قصة أيضًا، هناك لمحة من

القوة، من الصبر، من الإرادة التي لا تنكسر.

تلك الإرادة هي التي تبقى شعلة تُضيء الطريق
رغم الظلام.

وفي قلب كل معاناة، ينبض نبض لا يعرف

الاستسلام، روحٌ لا تقبل الهزيمة، وإرادة لا
تعرف الانكسار.

أبناء الضليعة، رغم كل الجراح، هم الحكاية

التي لم تُكتب بعد، وهم الأمل الذي

لم يُطفأ ضوؤه بعد.

إنّ الكرامة لا تُهدى، بل تُنتزع، والحقوق

لا تُمنح، بل تُطالب بها.

واللحظة التي نقرر فيها أن نصمت عن الألم
هي اللحظة التي نفقد فيها فرصة التغيير.

فلتكن أصواتنا مدوية، ولتكن خطواتنا ثابتة

نحو غدٍ أفضل.

لا تنتظر الفرج من أحد،

فاليد التي تحمل التغيير

هي يدك، والقلب الذي ينبض بالأمل هو قلبك.

إننا جميعًا نملك قوة التغيير،

إذا قررنا أن نرفع الصوت، أن نكون صادقين مع أنفسنا،

وأن نرفض الظلم بكل أشكاله.

لم يكن غياب الأمل محصورًا في الصحة والتعليم فقط،

بل تسلل حتى إلى الجوانب التي تبني الإنسان

روحًا وعقلًا وجسدًا.

فالرياضة، التي كانت يومًا متنفسًا للشباب،

غابت تمامًا عن واقع الضليعة.

الملاعب إن وُجدت، فهي مساحات ترابية مهجورة،

لا تُشبه شيئًا من أحلامهم.

أنديتهم -إن سُميت كذلك- تُدار بلا دعم، بلا خطط،

بلا حتى اهتمامٍ شكلي.

تمر البطولات الرياضية في المحافظات والمديريات

المجاورة، فيما الضليعة تقف على الهامش، لا يذكرها

أحد، وكأن أبناءها لا يحق لهم أن يركضوا

في ساحة، أو يرفعوا كأسًا، أو يُنشدوا نشيد النصر

في يومٍ من الأيام.

تُنشر الصور على وسائل الإعلام، تُوزع الكؤوس

والميداليات، والضليعة خارج الصورة.

لا أحد يذكرها، ولا أحد يُشركها، وكأن شبابها

ليسوا من هذا الوطن، أو كأن الرياضة عندهم لا تعني شيئًا.

وكم من مرة بادر شبابٌ محليّون إلى تنظيم بطولة،

فلم يجدوا دعمًا من أحد، فقط وعودًا شفهية تنتهي

بمجرد انتهاء التصفيق.

أما الثقافة، فهي الغائب الحاضر في خطابات المسؤولين.

كلمات منمقة تُقال في المناسبات، شعارات تُردد

عن الوعي والتنمية والمبادرات، بينما الواقع لا يعكس شيئًا منها.

لا مركز ثقافي، ولا مكتبة عامة، ولا حتى ركنٌ صغير

يُشعل في الأطفال شغف المعرفة أو الفن.

كانت الثقافة عند البعض مجرد "عبارة" يزين بها خطابه،

لا مشروعًا يُعاش على الأرض.

كم من مرة وعد المدير بمهرجانات ثقافية،

أو ملتقيات شبابية، أو دعم للمواهب؟

لكن تلك الوعود بقيت كظل الغيم، تظهر ثم تتلاشى.

أبناء الضليعة الذين يحملون أقلامًا مبدعة، ومواهب مسرحية،

وجدوا أنفسهم أمام جدار الصمت، يُصفقون لأنفسهم

في غرفهم، ويخزنون أحلامهم في دفاتر لا يقرأها أحد.

حتى النظافة، تلك القيمة البسيطة التي تعكس احترام الإنسان لبيئته وذاته، لم تسلم من الإهمال.

شوارع الضليعة باتت تئن تحت أكوام القمامة، لا توجد

فرق نظافة كافية، ولا معدات، ولا رقابة.

الأحياء تغرق في المخلفات، والمستنقعات تُشكّل

بؤرًا للأوبئة، وكل ذلك يُبرر بـ"قلة الإمكانيات"،

وكأن النظافة ترفٌ وليست حقًا.

المدارس...

التي يُفترض أن تكون بيئة تعلم، تجد حولها القاذورات،

والمراكز الصحية...

تُحاصرها النفايات، وأماكن التجمعات لم

تعد صالحة حتى للجلوس.

وحين يُسأل المسؤول عن ذلك، يُلقي بالتهمة على السكان،

دون أن يسأل نفسه:

أين كانت الرقابة؟

وأين كان هو حين تراكمت القذارة على مرأى الجميع؟

هكذا أصبح أبناء الضليعة...

محاصرين من كل اتجاه: لا رياضة تربي الجسد

على التحدي،

ولا ثقافة تُغذي الروح على الوعي،

ولا بيئة نظيفة تحفظ كرامتهم اليومية.

ومع ذلك، ورغم هذا الكم من الإهمال،

لا يزال بعضهم يُنظف بيده، يُدرّب الصغار في ساحات

غير مهيأة، ويعقد جلسات ثقافية في فناء منزله.

إنه العناد الجميل، ذلك الذي لا يُصنع من غفلة، بل

من إيمان عميق بأن الضليعة تستحق، وأن أبناءها

ليسوا أقل شأنًا من غيرهم، فقط

لأن مسؤولًا ما قرر أن ينام في حضن منصبه.

الأمل هنا لا ينبع من الوعود، بل من أولئك

الذين قرروا أن يصنعوه رغم كل ما حولهم من بؤس.

إن أبناء الضليعة اليوم ليسوا كما كانوا بالأمس.

صبرهم لم يمت، لكنه تغيّر.

لم يعودوا يثقون في الكلام، بل في الأفعال.

باتوا يدركون أن من لا يطالب بحقه، لن يُعطى حتى الفُتات.

صوتهم لم يعد يهمس، بل بدأ يعلو.

ووعيهم لم يعد قاصرًا على المعاناة، بل صار

يطرح الأسئلة، يُحلل، ويُحاسب.

إنهم يعيشون بين اليأس والأمل.

يأسٌ من وعودٍ فارغة، وأملٌ في أنفسهم، في

وعيهم المتصاعد، في قدرتهم على التغيير ولو بطيئًا.

وربما، حين يكتب التاريخ ذات يوم عن الضليعة،

لن يكتب فقط عن المعاناة، بل عن كيف

وقف أهلها، في أقسى اللحظات، وقالوا: "كفى".

فلنبدأ اليوم، لنصنع معًا ضليعة جديدة، ضليعة

الأمل، ضليعة الكرامة، ضليعة التي لا تترك أحدًا خلفها.

حينها فقط، سيصبح الصمت خيانة،

ويصبح الكلام انتصارًا،

ويصبح الأمل واقعًا.

الوجع الهادئ ـــــــ

الوجع الهادئ ـــــــ

# "لستُ ناقمًا... بل موجوع"

لستُ ناقمًا على أحد

ولم أكتب هذا الكتاب لأشهر أصابع الاتهام

أو أنصب اللوم على هذا أو ذاك.

لم يكن هدفي أن أجعل من شخصيات مديرية الضليعة أعداء

أو خصوم، بل أردت أن أُضيء شمعة

في ظلام الواقع الذي يعيشه أبناؤها، أن أُسمع

صوتهم الذي طال صمته، وأكشف ما تخفيه

جدران الإهمال والخذلان.

أنا موجوع...

موجوع بوجعهم، بألم كل طفلٍ

حرم من التعليم، وبكل مريضٍ غاب عنه الدواء،

وبكل أمٍّ تنظر إلى أطفالها بعينين ملؤهما القلق والخوف

وبكل مسنٍ يحكي قصة زمنٍ كان فيه للحياة معنى

غير هذا الذي نعيشه اليوم.

هذا الكتاب هو مرآة تعكس واقعًا قاسيًا، لكنه

واقعٌ لا بد أن يُرى، لا بد أن يُسمع، لا بد أن يُعترف به.

أنا لستُ ناقمًا، بل شاهدٌ على معاناةٍ

دفنت في صمت، على أحلامٍ ذهبت

مع الريح، وعلى حقوقٍ ضاعت بين أوراق المماطلة والتقاعس.

ليس هناك ما يشفي الجراح أكثر من الإقرار بها،

وليس هناك طريق إلى التغيير إلا بالاعتراف

بالواقع، ثم العمل بكل صدق وإخلاص لتغييره.

وأتمنى من كل قلبي أن يُقرأ هذا الكتاب

ليس كاتهامٍ أو تنديدٍ،

بل كصرخة حقٍ ومناجاة إنسانية تستحث ضمائر

الجميع، مسؤولين

ومواطنين، على أن يكونوا جزءًا من الحل،

لا جزءًا من المشكلة.

أنا أحلم، كما يحلم كل من يعيش هنا،

بغدٍ أفضل لمديريتنا الحبيبة.

بغدٍ نرى فيه مدارس

نظيفة تفتح أبوابها بكل ترحاب، ومستشفيات مجهزة

تعالج المرضى بكرامة،

وطرقات معبدة تسهل

حركة الناس والبضائع، ومسؤولين يخافون

الله في أداء مهامهم، ويعملون لخير الناس لا لمصالحهم الشخصية.

هذا الحلم ليس بعيدًا، بل هو ممكن، إذا توحدنا

إذا رفعنا أصواتنا بحكمة وعزم،

وإذا حمل

كل منا مسؤوليته بصدق.

لا أكتب هذا الكتاب لأجل الحاضر فقط

بل لأجل الأجيال القادمة التي تستحق أن تعيش حياة

كريمة وأن تكون فخورة بمدينتها.

في النهاية، أقول:

لستُ ناقمًا، بل موجوع.

موجوع لأننا نملك الكثير لنقدمه، ولم نفعله.

موجوع لأننا نستطيع أن نكون أفضل، ولم

نحاول بما فيه الكفاية.

وموجوع لأن الألم الذي نحمله معًا يستحق

أن يُسمع ويُعالج، لا أن يُدفن تحت ركام الصمت.

فلنكن جميعًا صناع التغيير، حاملين مشعل

الأمل، حراس الحق، ونبراس المستقبل.

فمديريتنا، بقلوب أبنائها وإرادتهم، تستحق

أن تزهر من جديد.

لم تكن الشكوى أبدًا صدى غضب، ولا الصوت

الحزين الذي يعلو في الطرقات نابعًا من حقدٍ أو كراهية...

بل هو انكسارٌ يحمله أصحاب القلوب المخلصة

حين تنفلت منهم القدرة على التحمل. حين يُثقل القلب

بصمت لا يُفهم، وتختنق الكلمات في الحناجر

لأن أحدًا لم يعد يصغي... لا أحد يرى.

أنا لا أحمل الحطب إلى نار الفتنة، ولا أرغب أن يُرمى

أحد بالاتهام، لكنني أحمل على ظهري تعب السنين،

أسير به في طرقاتٍ مكسوّة بالغبار، لا أعرف فيها أين تنتهي

الخيبة أو يبدأ الفرج.

لستُ ناقمًا، لأن النقمة وقودها الكراهية، وأنا لم أكره أحدًا...

لكنني موجوع، والوجع لا يختار، لا يستأذن،

لا يتحمل المجاملة.

موجوع من اللامبالاة، من التجاهل المستمر،

من تلك النظرات التي تعبر فوق رؤوس الناس وكأنهم لا شيء.

من صمت المسؤول حين يرى طفلًا يتلوى من المرض

ولا يُحرّك ساكنًا.

من تكرار الأعذار الباردة التي لا تُداوي جرحًا ولا تُقيم بناء.

من الخطابات التي تُصاغ بإتقان وتُنسى بعد انتهاء التصفيق.

ما يؤلمنا ليس فقط ما فُقد، بل كيف فُقد...

كيف تحوّلت الثقة إلى خذلان، والوعود إلى رماد.

حين يكون الانتماء جرحًا مفتوحًا لا يلتئم، لأن

من يفترض أنه راعٍ، كان أول من ترك القطيع للذئاب.

أنا موجوع، لأنني أحب هذه الأرض، وأرغب

أن تكون كما تستحق، لا كما أراد لها الإهمال أن تكون.

أوجعني أن أرى من يستحق أن يكون في المقدمة،

يُداس لأنه لا يملك واسطة، وأن من

لا يحمل كفاءة يُمنح الكرسي لأنه يُجيد المراوغة.

أوجعني أن الأوفياء لا يُذكرون، وأن كل شيء أصبح يُقاس

بالولاءات لا بالإنجاز.

لم نطلب المعجزات، بل الحد الأدنى من الإنصاف...

لم نُرد رفاهيةً، بل كرامةً في العيش.

حتى حين كتبنا، وتحدثنا، ورفعنا أصواتنا،

قيل لنا: "أنتم تُضخّمون الأمور"، "أنتم لا تفهمون الصورة الكاملة". لكن أي صورة تلك التي لا يظهر فيها الطفل المريض،

ولا الشاب العاطل، ولا الطرقات المحطمة،

ولا البيوت الغارقة في الظلمة؟

لستُ ناقمًا... لأن الناقم يسعى للثأر.

وأنا لا أبحث عن انتقام، بل عن اعترافٍ بالوجع،

عن يدٍ تمتد لا لتُصفّق، بل لتُعين، لتُرمم، لتُعيد للناس

شعورهم بأنهم يستحقون العيش بكرامة.

أنا موجوع لأنني رأيت رجالًا أقوياء تبكيهم نساؤهم

في صمت، لأنهم لم يعودوا يملكون ثمن الدواء.

لأن أطفالًا حفظوا مفردات الخيبة قبل أن يتهجّوا الحروف.

لأن الحياة أصبحت مؤجلة، والأحلام ممنوعة،

والأمل ضيف نادر لا يزورنا إلا خاطفًا.

ومع ذلك، لم أُحمل قلبي حقدًا، بل حرقة.

تلك الحرقة التي تُشعل داخلك سؤالًا صامتًا: "إلى متى؟".

لا أبحث عن خصم، بل عن إصغاء.

لا أريد جدارًا أصرخ نحوه، بل نافذةً يمر منها النور.

أنا موجوع... لأني لا زلت أؤمن.

ولو كنت ناقمًا، لنسيت.

أما الوجع...

فهو دليل الحب الذي لم ينطفئ بعد.

# الخاتمة

ها قد وصلنا إلى نهاية هذا الرحلة معًا،

رحلة عبر صفحات حملت آلام مديريتنا وهموم أبنائها،

لكنها لم تكن مجرد سرد لحكايات الألم والمعاناة،

بل كانت دعوة صادقة لأن ننهض، أن نُغير،

أن نُعيد بناء ما تهدم.

إنَّ الكلمات التي كتبت هنا ليست مجرد حروف

تناثرت على صفحات، بل نبضات قلب ينبض لأرضه،

صرخات روح لا تقبل الظلم والخذلان.

نحن لا ننتظر العطف من أحد،

ولا نرتضي، الاستسلام،

بل نؤمن بأن قوة التغيير

تكمن في أيدينا، في عزيمتنا، في وحدتنا.

أدعو كل من قرأ هذا الكتاب أن يحمل

معه رسالة الأمل هذه، أن يرى في الألم

فرصة للتغيير، وفي اليأس بداية للنضال،

وفي الصمت دعوة للصوت العالي الذي لا يُخمد.

فلنكن نحن من يصنع الفرق،

نحن من يُعيد

الحياة إلى شرايين مديريتنا،

نحن...

من يمنح أبناء ضليعتنا مستقبلًا

يليق بهم وبأحلامهم.

وفي نهاية هذا الطريق، أقول لنفسي ولكل من يؤمن

بأن غدًا أفضل ممكن: لا تيأس، لا تستسلم، فالأمل

يولد من رحم الألم، والانتصار يبتسم

لمن يصبر ويُجاهد.

لنكتب معًا

فصولًا جديدة من العزيمة

والعمل،

فهذه ليست

النهاية، بل البداية.